باب الحاء المهملة

حائم: هو الغراب الأسود، لأنّه لا يحوم عندهم إلا بالفراق، قال المرقش:

ولقد غدوتُ وكنتُ لا
أغدو على واقٍ وحائمْ
فإذا الأشائم كالأيا
من والأيامن كالأشائمْ
وكذاكَ لا خيرٌ ولا
شرٌّ على أحدٍ بدائمْ

وستأتي إن شاء الله تعالى هذه الأبيات في أوّل باب الواو، ويسمّى غراب البين، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الغين المعجمة.

الحارية: نوع من الأفعى، وقد تقدّم في باب الهمزة.

الحباب: الحية، قال الجوهري: وإنّما قيل لها ذلك، لأنّ الحباب اسم شيطان والحية يقال لها شيطان.

رُوي عن سعيد بن المسيب أنّه قال: بلغني أن النبي ﷺ غيّر اسم رجل من الأنصار كان اسمه الحباب، وقال: «الحباب اسم شيطان»، وقال أبو داود في باب تغيير الاسم القبيح: وغيّر النبي ﷺ اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وشهاب وحباب والرجل الذي غيّر النبي ﷺ اسمه هو عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول كان اسمه الحباب، فسمّاه النبي ﷺ عبد الله، وأبوه كان يكنى أبا الحباب.

الحبتر: الثعلب، وقد تقدّم ذكره في باب الثاء المثلثة.

الحبث: حيّة بتراء ذات سم قاتل، وسيأتي إن شاء الله تعالى لفظ الحية في آخر هذا الباب.

حُباحِب: كهداهد حيوان له جناحان كالذباب يضيء بالليل كأنّه نار، وقد ضربت العرب به المثل، فقالوا: أضعف من نار الحباحب؛ وقيل: الحباحب اسم رجل من

محارب بن خصفة، مشهور بالبخل، كانت له نار ضعيفة يوقدها مخافة الضيفان، فضربوا به المثل، لذلك قال الجوهري: وربما قيل نار أبي الحباحب، وهو ذباب، وقال في المرصع: يقال للنار القليلة التي لا ينتفع بها، وللذباب الطائر في الليل أبو حباحب غير مصروف، قلت: وهذا الطائر يسمى القطرب، ذكره ابن البيطار وغيره، وقال في «**الصحاح**»: القطرب طائر.

وحكمه: تحريم الأكل لأنّه من الحشرات.

الحُبَارى: بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة، طائر معروف وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى واحده، وجمعه سواء، وإن شئت قلت في الجميع حباريات. قال الجوهري: وألف حبارى ليست للتأنيث ولا للإلحاق، وإنّما بني الاسم عليها، فصارت كأنّها من نفس الكلمة لا تنصرف في معرفة ولا نكرة أي لا تنون، قلت: وهذا سهو منه بل ألفها للتأنيث، كسمّاني ولو لم تكن له لانصرفت، وأهل مصر يسمّون الحبارى الحبرج، وهي من أشد الطير طيراناً وأبعدها شوطاً، وذلك أنّها تصاد بالبصرة، فيوجد في حواصلها الحبة الخضراء التي شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام، ولذلك قالوا في المثل: أطلب من الحبارى، وإذا نتف ريشها أو تحسر وأبطأ نباته ماتت كمداً، والكمد: الحزن المكتوم، وهو طائر طويل العنق، رمادي اللون، في منقاره بعض طول. وقال الجاحظ: الحبارى لها خزانة في دبرها وأمعائها لها أبداً فيها سلح رقيق، فمتى ألحّ عليها الصقر سلحت عليه، فينتف ريشه كله، وفي ذلك هلاكه وقد جعل الله تعالى سلحها سلاحاً لها، قال الشاعر:

وهمْ تركوكَ أسلحَ من حُبارى رأت صقراً وأشرد من نَعامِ

ومن شأنها أنّها تصاد ولا تصيد. روى البيهقي في «**الشعب**» من حديث يحيى بن أبي كثير عن سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رجلاً يقول: إنّ الظالم لا يضر إلاّ نفسه. فقال أبو هريرة: كذب والذي نفسي بيده إنّ الحبارى لتموت هزالاً من خطايا بني آدم، وهو كذلك في «**تفسير الثعلبي**» في آخر سورة فاطر، يعني: إذا كثرت الخطايا منع الله القطر عن أهل الأرض، وإنّما يصيب الطير من الحب والثمرة على قدر المطر، قال الشاعر:

يسقطُ الطيرُ حيث يلتقط الحب وتغشى منازلُ الكرماءِ

وهي من أكثر الطير حيلة في تحصيل الرزق، ومع ذلك تموت جوعاً لهذا السبب، فسبحان القادر على ما يشاء، وولدها يقال له نهار وفرخ الكروان، يقال له ليل، ولذلك قال الشاعر:

ونهاراً رأيتُ منتصف الليل وليلاً رأيت وسط النهارِ

الحكم: يحل أكلها لأنّها من الطيبات. روى أبو داود والترمذي عن يزيد بن عمر بن سفينة مولى رسول الله ﷺ عن أبيه عن جده أنّه قال: أكلت مع رسول الله ﷺ حبارى، قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

الأمثال: قالوا: أكمد من الحبارى كما تقدّم. وقال عثمان: كل شيء يحب ولده حتى الحبارى، وإنّما خصها بالذكر لأنّها يضرب بها المثل في الحمق، فهي على حمقها تحب ولدها، فتطعمه وتعلمه الطيران كغيرها من الحيوان، وقالوا: أسلح من الحبارى حالة الخوف وأسلح من الدجاج حالة الأمن، وقالوا: الحبارى خالة الكروان، وقالوا: أقصر من إبهام الحبارى ومن إبهام القطاة.

الخواص: لحم الحبارى بين لحم الدجاج ولحم البط في الغلظ، وهو أخف من لحم البط لأنّه بري وهو حار رطب جداً، وأجوده المخاليف المكدودة قبل الذبح، وهو نافع لتسكين الرياح، لكنه يضر بالمفاصل والقولنج، ويدفع ضرره الدارصيني والزيت والخل، ويتولد منه دم بلغمي، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة من الشبان لا سيما إذا أكل في الشتاء، وفي البلاد الباردة، وقال صاحب «**تقويم الصحة**»: يكره لحم الحبارى لغلظه وعسر انهضامه، وأجوده ما طبخ بعد أن يمضي عليه يومان، ثم يغرز في صدره وأفخاذه الثوم الكثير والفلفل، ويعمل بالأبازير وهو إذا انهضم ولّد غذاءً كثيراً وما كان منه مخلفاً خير مما كان عتيقاً ويجب أن يتناول بعده حلواء العسل، انتهى.

وقال القزويني: يوجد في حوصلته حجر إذا علّق على الإنسان لا يحتلم ما دام عليه وإن كان به إسهال حبس بطنه، وإذا علق قلبه على من يكثر النوم قل نومه، وقال أرسطاطاليس في «**النعوت**»: بيض الحبارى ما كان منه ذكراً يسود الشعر ويبقى صبغة سنة لا ينصل، وما كان منه أنثى لا يسود الشعر، ويعرف ما يسود بأن يؤخذ خيط فيدخل في إبرة ويدخل في بيضة فإذا اسودّ الخيط صبغ بها وإلاّ فلا.

التعبير: الحبارى في المنام: رجل سخي صاحب دخل وخرج بلا منفعة، كثير الأكل والتعب لا يفتر ليلاً ولا نهاراً.

الحبرج: ذكر الحبارى واليحبور ولدها، وقيل اليحبور من طير الماء.

الحبركى: القرادة، قالت الخنساء:

فلستُ بمرضع ثديي حبركى أبوه من بني جُشَم بن بكرِ

والأنثى حبركاة. وقال أبو عمرو الجرمي: قد جعل بعضهم الألف في حبركى للتأنيث فلم يصرفه وربما شبه به الرجل الغليظ الطويل الظهر القصير اليدين.

حبلّق: كعملس غنم صغار لا تكبر؛ وقيل: قصار الغنم ودقاقها.

حبيش: قال الجوهري: هو طائر جاء مصغراً كالكميت والكعيب، انتهى.

والكعيب: البلبل كما تقدّم.

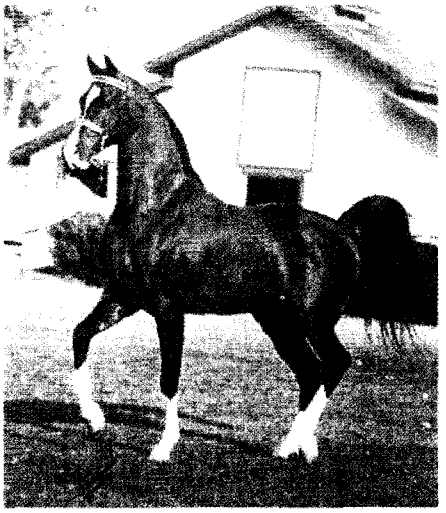

الحجر: الأنثى من الخيل، لم يدخلوا فيه الهاء لأنّه اسم لا يشركها فيه الذكر، والجمع أحجار وحجور؛ وقيل أحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل، وليس بقوي، وفي «**كامل ابن عدي**» في ترجمة محمد بن عبد الله العرزمي عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أنّ النبي ﷺ قال: «**ليس في حجرة ولا بغلة زكاة**» وهذا يدل على أنّه يقال لها حجرة بالهاء، لكن في «**المستدرك**» من حديث أبي حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ كان يسمّي الأنثى من الخيل فرساً.

وحكمها: وخواصها كالخيل، وسيأتي ذكر ذلك في باب الخاء المعجمة والفاء.

التعبير: الحجرة في المنام امرأة شريفة مباركة، لقوله ﷺ: «**ظهورها عز وبطونها كنز**» فمن ركب حجرة في منامه بآلة الركوب، فإنّه ينكح امرأة شريفة مباركة في عقد صحيح، ومن ركب حجرة بلا سرج ولا لجام فإنّه ينكح امرأة في غير عصمة أو يركب أمراً لا يثبت عليه، وربما دلّت الحجرة البيضاء على امرأة ذات حسب ونسب، والحمراء على امرأة ذات زينة، والصفراء على امرأة ذات مرض، والسوداء على امرأة ذات ملك وسؤدد، والدهماء كذلك، وربما دلّت الحجرة على السنة، فالسمينة خصب، والضعيفة جدب، وقد تكون ضعف الجاه والقوى والحيل، والله تعالى أعلم.

الحجروف: دويبة طويلة القوائم أعظم من النمل، حكاه ابن سيده.

الحَجَل: بالفتح، الذكر من القبج، الواحدة حجلة، واسم جمعه حجلى، ولم يأتِ جمع على فعلى بكسر الفاء إلاّ حرفان: حجلى وظربى جمع ظربان، وهو دويبة منتنة، وستأتي في باب الظاء المشالة إن شاء الله تعالى.

والحجل طائر على قدر الحمام، كالقطا أحمر المنقار والرجلين، ويسمى دجاج البر، وهو صنفان: نجدي وتهامي، فالنجدي أخضر اللون، أحمر الرجلين، والتهامي فيه بياض وخضرة، وفراخ هذا الطائر تخرج كاسية، ومن شأنها إذا لم تلقح أن تتمرغ في التراب وتصبه على أصول ريشها فتلقح، ويقال: إنّها تبيض من سماع صوت الذكر، أو بريح تهب من قبله، وإذا باضت ميز الذكر الذكور منها، فحضنها وهي تحضن الإناث، وهما كذلك في التربية. قال التوحيدي: ويعيش الحجل عشر سنين، ويصنع عشين، يجلس الذكر على واحد والأنثى على واحد، ومن طبع الحجل أنّه يأتي أعشاش نظرائه، فيأخذ بيضها ويحضنه، فإذا طارت الفراخ

لحقت بأمهاتها التي باضتها، وفي تركيبه قوّة الطيران حتى إنّ الإنسان إذا لم يره يظنه حجراً خرج من مقلاع، والذكر شديد الغيرة على الأنثى، فلذلك إذا اجتمع ذكران اقتتلا على الأنثى، فأيُّهما غلب ذل الآخر وتبعت الأنثى الغالب منهما، وفي طبع الذكر أن يخدع أمثاله بقرقرته، ولهذا يتخذه الصيادون في أشراكهم ليكثر القرقرة، فيجتمع إليه أبناء جنسه فيقعن معه، وهو يفعل ذلك كالحاسد لها والمنتقم منها، والأنثى إذا أصيب بيضها قصدت عش غيرها وغلبتها على بيضها أو تسرقه وتحضنه.

فائدة: ذكر في «**كتاب النشوان**» و «**تاريخ ابن النجار**» عن أبي نصر محمد بن مروان الجعدي أنّه أكل مع بعض مقدّمي الأكراد على سماط فيه حجلتان مشويتان، فأخذ الكردي بيده واحدة وضحك، فسأله عن ذلك، فقال: قطعت الطريق في عنفوان شبابي على تاجر، فلما أردت قتله تضرّع إليّ فلم أقبل تضرعه ولم أفلته، فلما رأى الجد مني التفت إلى حجلتين كانتا في جبل، وقال: اشهدا لي عليه أنّه قاتلي ظلماً، فقتلته، فلمّا رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهادهما عليّ، فقال ابن مروان لمّا سمع ذلك منه: قد شهدتا والله عليك عند من يقيدك بالرجل، ثم أمر بضرب عنقه.

الحكم: أكلها حلال اتفاقاً، وسيأتي إن شاء الله تعالى في النحام في باب النون عن «**كامل ابن عدي**»: أنّ الطير المشوي الذي أهدي للنبي ﷺ كان حجلاً؛ وقيل كان نحاماً وصح أنّه ﷺ كان بين كتفيه خاتم مثل زر الحجلة.

قال الترمذي: المراد بالحجلة هذا الطائر وزرها بيضها، قلت: والصواب أنّها حجلة السرير، واحدة الحجال وزرها الذي يدخل في عروتها. وروى البيهقي في «**دلائل النبوّة**» عن الواقدي عن شيوخه أنّهم قالوا: لما شكّ في موت النبي ﷺ قال بعضهم: قد مات، وقال بعضهم: لم يمت، فوضعت أسماء بنت عُمَيس يدها بين كتفيه، ثم قالت: توفي رسول الله ﷺ قد رفع الخاتم من بين كتفيه، فكان هذا هو الذي عرف به موته ﷺ، وأسماء بنت عُمَيس كانت زوجة جعفر بن أبي طالب، ثم تزوّجها الصديق فأولدها محمداً، ثم تزوّجها علي بن أبي طالب بعد وفاة الصديق، وكان محمد بن أبي بكر صغيراً، فرباه علي فهو ربيب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فائدة أخرى: في «**المستدرك**» عن وهب بن منبه أنّه قال: لم يبعث الله نبيّاً إلاّ وقد كان عليه شامة النبوّة في يده اليمنى إلاّ نبينا محمداً ﷺ، فإن شامة النبوّة كانت بين كتفيه، وقال

علي رضي الله تعالى عنه لأهل العراق: يا أشباه الرجال ولا رجال، يا عقول ربات الحجال، وقال كثير عزة:

وأنتِ التي حَبَّبتِ كلَّ قصيرةٍ إليَّ فلا تُدرك نداكِ القصائِرُ
عنيتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أُرِدْ قصار الخطى شرُّ النساءِ البحاتِرُ

وسيأتي الكلام على خاتم النبوّة في باب الكاف في لفظ الكركي.

الأمثال: ضرب النبي ﷺ المثل بالحجل فقال: «**اللّهم إني أدعو قريشاً وقد جعلوا طعامي طعام الحجل**» يريد أنّه يأكل الحبة بعد الحبة لا يجدّ في الأكل.

وقال الأزهري: أراد أنّهم غير جادين في إجابتي، فلا يدخل منهم في دين الله إلاّ النادر القليل. وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهاني في كتاب «**الترغيب والترهيب**» عن أنس رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**أوّل ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة صلاته فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله**» قال: وكان يقول: «**حاذوا المناكب في الصلاة، فإنّ الشيطان يتخلل الصفوف كما يتخلل الحجل والصف الأيمن خير من الصف الأيسر**» قال: قوله: «حاذوا من الحذاء»، وهو أن يجعل المنكب بجنب المنكب.

الخواص: لحمها معتدل، جيد، سريع الهضم، إذا ابتلع من كبدها وهي حارة قدر نصف مثقال نفع من الفزع، ومرارتها تنفع الغشاوة المظلمة في العين اكتحالاً، وإذا سعط بمرارتها إنسان في كل شهر مرّة احتد ذهنه، وقلّ نسيانه، وقوي بصره.

وقال المختار بن عبدون: بيض الحجل ألطف من بيض الدجاج، وهو نافع للمترفهين وضار بأصحاب الكد، ويولد غذاءً معتدلاً ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة، وهو أجود هضماً من بيض الدجاج، وأجود ما يعمل أن يلقى في الماء وهو يغلي وفيه ملح أو خل، ويكون الماء متساوياً عليه، وكذلك كل بيض، وأمّا المطحن من كل بيض فرديء جداً، يولد حجارة في المثانة ويحدث غماراً وقولنجاً. والمغلي في الماء أهضم منه وأنفع، ومن المقلي في الأدهان أيضاً، انتهى. وقال غيره: بيض الحجل إذا طبخ في الماء المغلي في الكمون والملح أو بخل عنصل وأكل نفع من المغص وسائر أوجاع البطن.

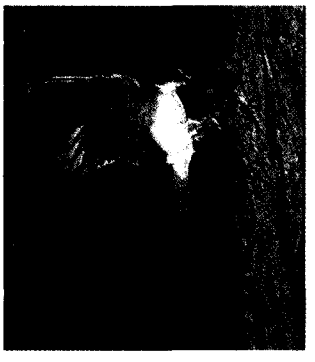

وأمّا رؤيته في المنام: فالحجلة تدلّ على امرأة غير ألفة، وربما تدل رؤيتها على محبة الأولاد.

الحِذأة: بكسر الحاء المهملة، أخس الطير، وكنيته أبو الخطاف وأبو الصلت، ولا تقل حَدأة بفتح الحاء، لأنّها الفأس التي لها رأسان، وقد جاء في الحديث الحُدَيَّا على وزن الثريا كذا قيده الأصيلي، وقد جاء الحدياة بغير همز، وفي بعض الروايات الحديئة بالهمزة كأنّه تصغير ذكره الصاغاني، قال:

وصواب تصغيره الحديئة بالهمز، وإن ألقيت حركة الهمزة على الياء شددتها، وقلت: الحديّة على مثال علية، وفي الحديث: «لا بأس بقتل الحدو والأفعى».

قال الأزهري: هي لغة فيهما، وقال ابن السراج: بل هي على مذهب الوقف لا على هذه اللغة، قلب الألف واواً على لغة من قال: حدا، وكذا أفعى، انتهى. وقال الأصمعي: جمع الحدأة حدأ كلباً، وزاد ابن قتيبة: وحدآن، قال الجوهري: هي مثل عنبة وعنب، وقد قال في عنب الحبة من العنب عنبة، وهو بناء نادر لأنّ الأغلب على هذا البناء الجمع نحو قرد وقردة، وفيل وفيلة، وثور وثورة، إلاّ أنّه قد جاء للواحد وهو قليل نحو العنبة والتولة والطيبة والخيرة والطيرة، ولا أعرف غيره، انتهى. وهو قد ذكر ذلك في حدأة كما تقدّم، والطيبة: المغنم الهنيء والتولة: ما تحبب به المرأة لزوجها، والخيرة والطيرة معروفتان، قلت: وقد يرد عليه ثومة جمعة ثوم، وذبحة وهو وجع في الحلق ومننة وهو العنكبوت، ورمخة وهي البلحة، وضمخة وهي السمينة وهننة وهي نوع من القنافذ، وتيمة وهي شجرة بوادي إبراهيم بالحجاز، والحدأة تبيض بيضتين وربما باضت ثلاثاً، وخرج منها ثلاثة أفراخ، وتحضن عشرين يوماً، ومن ألوانها السود والرمد، وهي لا تصيد، وإنّما تخطف، ومن طبعها أنّها تقف في الطيران، وليس ذلك لغيرها من الكواسر، وزعم ابن وحشية وابن زهر أنّ العقاب والحدأة يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقاباً، وفي نسخة: الغراب بدل العقاب، فسبحان القادر على ما يشاء، ويقال: إنّها أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير، فلو ماتت جوعاً لا تعدو على فراخ جارها، وتزعم رواة الأخبار ونقلة الآثار أنّها كانت من جوارح سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وإنّما امتنعت من أن تؤلف أو تملك لأنّها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده. والسبب في صياحها عند سفادها أنّ زوجها قد جحد ولدها منه، فقالت: يا نبي الله قد سفدني حتى إذا حضنت بيضي وخرج منه ولدي جحدني، فقال: سليمان عليه السلام للذكر: ما تقول؟ فقال: يا نبي الله إنها تحوم البراري ولا تمتنع من الطير فلا أدري أهو مني أو من غيري؟ قال: فأمر سليمان عليه السلام بإحضار الولد، فوجده شبه والده، فألحقه به، ثم قال لها سليمان عليه السلام: لا تمكنيه أبداً حتى تشهدي عليه ذلك الطير لئلا يجحد بعدها، فصارت إذا سفدها صاحت وقالت: يا طيور اشهدوا فإنّه سفدني اهـ. وتقول في صياحها: كل شيء هالك إلا وجهه، وهي طرشاء، ولو كانت مما يصاد بها لما كان من الكواسر أحسن صيداً منها، ولا أجل ثمناً، ومن طبعها أنها لا تخطف إلاّ من يمين من تخطف منه دون شماله، حتى إنّ بعض الناس يقول: إنها عسراء لأنّها لا تأخذ من شمال إنسان شيئاً، وقال القزويني إنّها سنة ذكر وسنة أنثى، وفي «**صحيح البخاري**» وغيره أن أعرابيّة كانت تخدم نساء النبي ﷺ، وكانت كثيراً ما تتمثل بهذا البيت:

ويومُ الوشاحِ من أعاجيبِ ربنا ... على أنّه من ظلمةِ الكفر نجّاني

فقالت لها عائشة رضي الله تعالى عنها: ما هذا البيت الذي أسمعه منك، فقالت: شهدت عروساً لنا تُجلى إذ دخلت مغتسلاً لنا وعليها وشاح، فوضعته فجاءت الحديّا، فأبصرت حمرته، فأخذته ففقدوا الوشاح، فاتهموني به، ففتشوني حتى قبلي، فدعوت الله أن يبرئني، فجاءت الحديا بالوشاح، حتى ألقته بينهم، كذا قيده الأصيلي الحديّا على وزن الثريا.

ورُوي من طريق الصاغاني وغيره الحدياة بغير همز، والحديئة بالهمز، وفي رواية: فرفعت رأسي وقلت: يا غياث المستغيثين فما أتممتهن حتى جاء غراب، فرمى الوشاح أو قالت: فألقى الوشاح بيننا، فلو رأيتني يا أم المؤمنين وهنّ حولي يقلن: اجعلينا في حل، فنظمت ذلك في بيت، فأنا أنشده لئلا أنسى النعمة، فأترك شكرها، وروى الحافظ النسفي في «**كتاب فضائل الأعمال**» بإسناده إلى حماد بن سلمة أنّ عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال: أصابتني خصاصة، فجئت إلى بعض إخواني فأخبرته بأمري، فرأيت في وجهه الكراهة، فخرجت من منزله إلى الجبانة، فصليت ما شاء الله، ثم وضعت وجهي على الأرض، وقلت: يا سبب الأسباب، يا مفتح الأبواب، يا سامع الأصوات، يا مجيب الدعوات، يا قاضي الحاجات، اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك، قال: فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي، فرفعت رأسي فإذا حدأة طرحت كيساً أحمر، فأخذت الكيس، فإذا فيه ثمانون ديناراً وجوهرة ملفوفة في قطنة مندوفة، قال: فبعت الجوهرة بمال عظيم، وفضلت الدنانير، فاشتريت بها عقاراً وحمدت الله على ذلك، وانتهى.

وحكى القشيري في «**الرسالة**» في آخر باب كرامات الأولياء عن شبل المروزي أنّه اشترى لحماً بنصف درهم، فاستلبته منه حدأة، فدخل شبل مسجداً يصلي فيه، فلما رجع إلى منزلة قدمت له زوجته لحماً، فقال لها: من أين لكم هذا؟ فقالت: تنازع حدأتان فسقط هذا منهما، فقال شبل: الحمد لله الذي لم ينس شبلاً، وإن كان شبل ينساه. وفي كتاب «**المجالسة**» للدينوري في الجزء الثالث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان سعد بن أبي وقاص بين يديه لحم، فجاءت حدأة، فأخذته، فدعا عليها سعد، فاعترض عظم في حلقها، فوقعت ميتة انتهى.

وروينا بالسند الصحيح أنّ الشيخ عبد القادر الجيلي قدس الله روحه، جلس يوماً يعظ الناس، وكانت الريح عاصفة، فمرت على مجلسه حدأة طائرة، فصاحت، فشوشت على الحاضرين ما هم فيه، فقال الشيخ: يا ريح خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية، فنزل الشيخ عن الكرسي، وأخذها بيده وأمرّ يده الأخرى عليها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فحييت، وطارت والناس يشاهدون ذلك.

الحكم: يحرم أكلها لأنّها من الفواسق الخمس المأمور بقتلها، قال الخطابي: المراد بفسقها تحريم أكلها وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفأر بيان ذلك.

وفي «**الصحيحين**» من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله تعالى عنهم أجمعين أنّ النبي ﷺ قال: «**خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم**» وفي رواية: «**ليس على المحرم في قتلهن جناح الحدأة والغراب الأبقع والعقرب والفأرة والكلب العقور**» نبه ﷺ بذكر هذه الخمسة على جواز قتل كل مضر، فيجوز له أن يقتل الفهد والنمر والذئب والصقر والشاهين والباشق والزنبور والبرغوث والبق والبعوض والوزغ والذباب والنمل إذا آذاه. قال الرافعي: وفي معنى هذه الخمسة: الحية والذئب والأسد والنمر والنسر والعقاب، فهذه الأنواع يستحب قتلها للمحرم وغيره، وقال في باب الأطعمة ما يخالف ذلك، وهو أنّ قتلها على سبيل الوجوب، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله تعالى في باب الصاد في الكلام على الصيد.

الأمثال: قالوا حدأة حدأة وراءك بندقة، قال أبو عبيدة: يراد بذلك هذه الحدأة التي تطير والبندقة ما يرمى به يضرب للتحذير.

الخواص: مرارتها تجفف في الظل وتنقع في إناء زجاج فمن لسعه شيء من الهوام قطر منه في الموضع الذي لسع فيه، واكتحل مخالفاً إنّ لسع في الجانب الأيمن اكتحل في العين اليسرى، وإن لسع في الجانب الأيسر اكتحل في العين اليمنى ثلاثة أميال فإنه ينجيه، وإن سحقت وطرحت في سلة الحاوي ماتت الحيات كلها، ودمها إذا خلط بقليل مسك وماء ورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس، وإن علقت وهي حية في بيت لم يدخله حية ولا عقرب.

التعبير: الحدأة تدل رؤيتها على الحرب والقتال لما قيل: حدأة حدأة وراءك بندقة. قال بعض أهل اللغة: إنّ حدأة وبندقة كانتا قبيلتين من سعد العشيرة، فأغارت حدأة وتغلبت وكانت تنزل بالكوفة على بندقة، وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كسرت بندقة حدأة، وتغلبت عليهم؛ وقيل: هي الطائر المعروف، وبندقة الرامي كما تقدم، وربما دلت على الرجل المتجرم أو المرأة الزانية، وجماعة الحدأ تدل على قطاع الطريق، وربما دلت رؤيتها على من يحل قتاله لكفره وشركه، فإن قتلهم مباح في الحل والحرم، وكذلك الحدأة، قاله ابن الدقاق وقال غيره: الحدأة في المنام ملك خامل الذكر ظالم وذلك لقوّة سلاحه وقربه من الأرض، ومن أصاب حدأة ولد له غلام، وينال قبل البلوغ ملكاً، فإن طارت منه مات الولد. وقال أرطاميدورس: الحدأ في المنام تدل على اللصوص والخطافين وتدل على النساء، والله أعلم.

الحذف: بفتح الحاء والذال المعجمة، غنم سود صغار من غنم الحجاز الواحدة حذفة، وفي حديث الصلاة: «**لا يتخالكم الشياطين كأنها حذف**»، وفي رواية: «**كأولاد الحذف**»؛ قيل: يا رسول الله وما أولاد الحذف؟ قال: «**ضأن سود، جرد صغار تكون باليمن**».

الحر: الفرس العتيق وفرخ الحمامة؛ وقيل الذكر منها وولد الظبية وولد الحية والصقر البازي، وقال ابن سيده: الحر طائر صغير أنمر، أصقع، قصير الذنب، عظيم المنكبين والرأس؛ وقيل: إنّه يضرب إلى الخضرة وهو يصيد.

الحرباء: كنيته أبو جخادب وأبو الزنديق وأبو الشقيق وأبو قادم، ويقال له: جمل اليهود كما تقدم. قال الإمام القزويني في كتاب «**عجائب المخلوقات**» لما كان الحرباء خلقاً بطيء النهضة وكان لا بد له من القوت، خلقه الله على صورة عجيبة، فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات، حتى يدرك صيده من غير حركة في يديه ولا قصد إليه ويبقى كأنه جامد أو كأنه ليس من الحيوان، ثم أعطي مع السكون خاصية أخرى وهو أنّه يتشكل بلون الشجرة التي يكون عليها، حتى يكاد يختلط لونه بلونها، ثم إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره، أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق، ثم يعود إلى حاله كأنّه جزء من الشجرة، وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد، ليلحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة، وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتتكوّن على هيئة وشكل يفر منه كل من يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون، انتهى. والحرباء أكبر من العظاية وهي تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت، وتتلون بحر الشمس كما قال الإمام الغزالي، ألواناً مختلفة فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت وهو ذكر أم حبين والجمع الحرابي، والأنثى حرباء، قال رجل: خاصمت ابن أخي إلى معاوية فجعلت أحجه، فقال: أنت كما قال الشاعر:

أنّى أتيحُ له حِرباء تَنْضُبَةٍ لا يرسلُ الساقُ إلا ممسكاً ساقا

أراد بالساق هنا الغصن من أغصان الشجرة، والمعنى: أنّه لا تنقضي له حجة حتى يتمسك بأخرى تشبيهاً بالحرباء، قال الجوهري: ويقال حرباء تنضب كما يقال: ذئب غضى والتنضب شجر يتخذ منه المهام، والتاء زائدة لأنّه ليس في الكلام فعلل وفي الكلام تفعل، مثل: تقتل وتخرج الواحدة تنضبة، ويقال لها أيضاً: حرباء الظهيرة، وهي دويبة غبراء ما دامت فرخاً ثم تصفو وهي أبداً تطلب الشمس، فحين تبدو تنحرف بوجهها إليها، حتى إذا استوت الشمس علت رأس شجرة وما يجري مجراها، فإذا صار قرص الشمس فوق رأسها بحيث لا تراها أصابها مثل الجنون، فلا تزال طالبة لها ولا تفتر إلى أن تتصوّب إلى جهة المغرب فترجع بوجهها إليها مستقبلة لها ولا تنحرف عنها إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس طلب هذا الحيوان معاشه ليله كله إلى أن يصبح، حتى إنّ طائفة من المتكلمين على طبائع الحيوان، يقولون: إنّه مجوسي ولسانه طويل جداً مقدار ذراع كما تقدم، وذلك دليل على أنّه يكون مطوياً في حلقه، وهو يبلغ به ما بعد عنه من الذباب والأنثى من هذا النوع تسمى أم حبين وستأتي في آخر الباب. وقد سمى أبو النجم في بعض شعره الحرباء بالشقي، وليس الشقي باسم للحرباء، وإنّما سمّاه به لاستقباله الشمس، كذا ذكره في المحكم في العين والنون والباء، وهذا الحيوان يوصف بالحزم لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن، حتى

يمسك غيره وهو يشبه رأس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة وله أربعة أرجل كسام أبرص، وذكر الشيخ جمال الدين بن هشام في «شرح بانت سعاد» أنّ للحرباء سناماً كسنام البعير، وإنه يتلون ألواناً، ويكنى أبا قرة وهي تتلون بلون الشجرة التي تكون عليها، حتى تكاد تختلط بلونها، فإذا قرب منها الذباب ونحوه اختطفته بلسانها، وقد تقدّم عن القزويني نظير ذلك.

الحكم: قال في «**الروضة**»: إنّها نوع من الوزغ غير مأكولة، لكن مقتضى ما قاله الجاحظ والجوهري من أنها ذكر أم حبين أنّها تؤكل لأنّ أم حبين مأكولة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. لكن قالوا: إنّ الحرباء من ذوات السموم، فيكون هذا علة تحريمها إلاّ أنّها نوع من الوزغ.

الأمثال: قالوا فلان يتلوّن تلوّن الحرباء؛ يُضرب لمن لا يثبت على حالة، وقالوا: أجود من عين الحرباء وأحزم من الحرباء لما تقدّم، والحزم: الاحتراس والنظر في الأمر قبل الإقدام عليه.

الخواص: دمها إذا نتف الشعر النابت في أجفان العين وجعل في أصوله لم ينبت أبداً ومرارتها إذا اكتحل بها أزالت غشاوة البصر وشحمها، إذا جعل على حديدة وأحرق بالنار وخلط بالدم مع شيء يسير من الماء وجدد عليه الدم والشحم وطلي به قروح الرأس والأبثار فإنّه يبرئها من أول طلية.

التعبير: الحرباء في المنام وزير الملك أو خليفته لا يكاد يفارقه لأنها تدور أبداً مع الشمس ولا تفارقها كما تقدم، وربما دلت على الخدمة للسلطان أو الفتنة في الدين أو المرأة المجوسية، وربما دلت على الحرب والندب على الميت، والله أعلم.

الحرذون: بكسر الحاء وبالذال المعجمة، دويبة شبيهة بالضب؛ وقيل هو ذكر الضب لأنّ له ذكرين مثله، وهو من ذوات السموم، يوجد في العمران المهجورة كثيراً له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأنامل، وجلده لا برص فيه، بخلاف سام أبرص، والحق أنّه غير الورل خلافاً لعبد اللطيف البغدادي.

وحكمه: تحريم الأكل لأنّه من ذوات السموم.

الخواص: قال أرسطو: من طلي بشحم الحرذون وألقى نفسه على التمساح لم يضره التمساح، وإذا شم رائحته خدر وانقلب على ظهره، وإن أحرق جلده واطّلى به إنسان لم يحس بألم الضرب والقطع، ولو فرق بين رأسه وجسده، والعيارون يفعلون ذلك فيظهر منهم الثبات

على الضرب وغيره. والحرذون يقتل العقرب وإذا علق شحمه على صاحب حمى الربع في خرقة سوداء أبرأه، وأزالها، وقال مهراريس: إنّما يعلق قلبه على الوصف الذي تقدّم.

ورؤيته في المنام: تدل على الطمع والشره في الكسب واختلاف المزاج والذهول والنسيان، والله تعالى أعلم.

الحرشاف أو الحرشوف: الجراد المهزول الكثير الأكل، الواحدة حرشافة، وفي حديث خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت رضي الله عنهما لما قال لها: أنت كظهر أمي، وجاءت تستفتي له رسول الله ﷺ وتشتكي إلى الله، فأنزل الله عز وعلا فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: 1] إلى آخر الآيات قال لها النبيّ ﷺ: «**مريه أن يعتق رقبة**» قالت: والله ما يجد رقبة وماله خادم غيري، قال: «**مريه فليصم شهرين متتابعين**» قالت: والله يا رسول الله ما يقدر على ذلك، إنه ليشرب في اليوم كذا كذا مرة، قد ذهب بصره مع ضعف بدنه، وإنما هو كالحرشافة، شبهته بالجراد المهزول الكثير الأكل.

الحُرْقُوص: بضم الحاء المهملة وبالقاف المضمومة وبالصاد المهملة في آخره وبالسين في لغة عوض الصاد، دويبة كالبرغوث، صغير أرقط بحمرة أو صفرة ولونه الغالب عليه السواد، وربما نبت له جناحان فطار. وقال الراجز:

ما لقي البيضُ من الحرقوص ... من مارد لص من اللصوص
يدخل تحت الحلق المرصوص ... بمهر لا غال ولا رخيص

أراد بلا مهر أصلاً؛ وقيل هي دويبة مثل القراد وأنشدوا:

مثل الحراقيص على حمار

وفي «**ربيع الأبرار**» للزمخشري، أنها دويبة أكبر من البرغوث وعضها أشد من عضه، وهي مولعة بفروج النساء، تولع النمل بالمذاكير وينبت لها جناحان كما ينبت للنملة؛ وقيل الحرقوص البرغوث بعينه واحتج له بقول الطِّرِمّاح:

ولو أن حرقوصاً على ظهر قملة ... يكر على صفي تميم لولت

ويقال له: النهيك، وقالت أعرابية:

يا أيها الحرقوصُ مهلاً مهلاً ... أإبلاً أعطيتني أم نَخْلا؟
أم أنت شيء لا تبالي الجهلا؟

وقال ابن سيده: الحرقوص دويبة محزمة، لها همة كحمة الزنبور تلدغ بها كأطراف السياط، ولذلك يقال لمن ضرب بأطراف السياط: أخذته الحراقيص.

فائدة: الحرقوص السعدي: رجل من الصحابة، وهو ذو الخويصرة التميمي الذي بال في المسجد وهو القائل للنبي ﷺ وهو يقسم: اعدل فقال: «**ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل**»، وهو الذي خاصم الزبير في شراج الحرة وقال: أن كان ابن عمتك فأمر النبيّ ﷺ الزبير باستيفاء حقه.

وقال ابن الأثير في «**أسد الغابة**»: الحرقوص بن زهير السعدي من الصحابة، ذكره الطبري، وقال: إن الهرمزان الفارسي كفر ومنع ما قبله واستعان بالأكراد وكثر جمعه، فكتب عتبة بن غروان إلى عمر رضي الله عنه بذلك فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ وأمره بالقتال، فاقتتل المسلمون والهرمزان، فانهزم الهرمزان،وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها وله أثر كبير في قتال الهرمزان، وبقي حرقوص إلى أيام علي رضي الله تعالى عنه، وشهد معه صفين، ثم صار مع الخوارج، ومن أشدهم على علي، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل حرقوص يومئذٍ سنة سبع وثلاثين.

وحكمه: تحريم الأكل لأنّه من الحشرات.

الحريش: نوع من الحيات أرقط، كذا قاله الجوهري: وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الأسد ولها قرن واحد في هامتها ويسميها الناس بالكركدن، وقال أبو حيان التوحيدي: هي دابة صغيرة في جرم الجدي ساكنة جداً، غير أنّ لها من قوّة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القناص، ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح به جميع الحيوان، فلا يغلبها شيء، ويحتال لصيدها بأن تتعرض لها فتاة عذراء أو صبية، فإذا رأتها وثبت إلى حجرها كأنها تريد الرضاع، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة، فإذا هي صارت في حجر الفتاة أرضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان من الخمر، فيأتيها القناص على تلك الحالة فيشدها وثاقاً على سكون منها بهذه الحيلة، وقال القزويني في «**الإشكال**»: الحريش حيوان في حجم الجدي ذو عَدْوٍ شديد وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدن، وأكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شيء في عدْوه، ويوجد في غياض بلغار وسجستان، انتهى.

وحكمه: التحريم سواء كان من نوع الحيات أو الحيوان الموصوف لعموم النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع.

الخواص: دمه يشربه من به خناق ينفتح في الحال، ولحمه يبرىء صاحب القولنج أكلاً، وكعبه يجعل على العرق المدمى يسكن ألمه.

الحسبان: الجراد واحده حسبانة وكذلك النملة الصغيرة.

الحساس: جنس من السمك صغار وهو الهف.

الحسل: ولد الضب، والجمع أحسال وحسول وحسلان وحسلة، يقال ذلك لولد الضب حين يخرج من بيضته، وكنية الضب: أبو حسل.

وحكمه: كأبيه.

الأمثال: قالوا: لا آتيك سن الحسل، أي أبداً لأن سنها لا تسقط حتى تموت، وأنشد العجاج يقول:

إنك لو عُمِّرْتَ عُمْرَ الحِسلِ أو عمر نوحٍ زمن الفِطَحْلِ
والصخر مبتل كطين الوحلِ كنت رهين هرمٍ وقتْلِ

الفِطَحْل: على وزن الهِزَبْر، زمن لم يخلق فيه الناس، وكانت الحجارة فيه رطبة.

الحسيل: ولد البقرة الأهلية لا واحد له من لفظه، والأنثى حسيلة، كذا قاله الجوهري وهو وهم، والصواب الحسيل أولاد البقر واحده حسيلة لأنه سمع له واحد من لفظه، وفي «**كفاية المتحفظ**» الحسيلة: البقرة، وجمعها حسائل.

حسون: عصفور ذو ألوان بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة، يسميه أهل الأندلس: أبا الحسن، والمصريون أبا زقاية، وربما أبدلوا الزاي سيناً، وهو يقبل التعليم، فيعلم أخذ الشيء من يد الإنسان المتباعد، ويأتي به إلى مالكه وهو داخل في عموم العصافير، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة.

الحشرات: صغار دواب الأرض وصغار هوامها، الواحدة حشرة بالتحريك، وابن أبي الأشعث يسمّي جميع هذا الحيوان الأرضي لأنّه لا يفارقها إلى الهواء، ولا إلى الماء، وهو يأوي في حجرته ويركز في بطنها، ولا يحتاج إلى شرب الماء ولا إلى شم النسيم، وهو قرين الأفاعي والحيات والجرذان الأهلية والبرية واليربوع والضب والحرذون والقنفذ والعقرب والخنفساء والوزغ والنمل والحلم، وأنواع أخرى، سيأتي منها ما لم يتقدم له ذكر.

فائدة: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: 159] قال لي مجاهد: اللاعنون الحشرات والبهائم، ثم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم، رواه ابن ماجه مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ، فإن قيل كيف جمع ما لا يعقل، فالجواب أنّه أسند إليهم فعل من يعقل، كما قال تعالى: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: 4] ولم يقل ساجدات، وكقوله

تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: 21]، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: اللاعنون كل المخلوقات ما عدا الجن والإنس؛ وقيل: ما عدا الملائكة فقط.

الحكم: يحرّم أكل الحشرات ولا يصح بيعها لعدم النفع بها، وبه قال الإمام أحمد وأبو حنيفة وداود وقال مالك: إنها حلال لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ [الأنعام: 145] الآية، ولحديث التلب بن ثعلبة بن ربيعة التميمي قال: صحبت النبيّ ﷺ فلم أسمع لحشرة الأرض تحريماً، رواه أبو داود، والتلب بتاء مثناة من فوق مفتوحة ثم لام مكسورة ثم باء ثالثة الحروف، وقال شعبة: الثلب بثاء مثلثة وفي «**سنن أبي داود في كتاب العتاق**» عن أحمد أنّه قال: كان شعبة ألثغ لم يبين التاء من الثاء، وكذلك قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر، ثم قال: وكان التلب يكنى أبا الملقام، روى عنه ابنه ملقام أنّه أتى النبيّ ﷺ فقال: استغفر لي يا رسول الله، فقال: «**اللهم اغفر للتلب وارحمه**» ثلاثاً. واحتج الشافعي والأصحاب بقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: 157] وهو ما تستخبثه العرب وبقوله ﷺ: «**خمس من الدواب كلهم فاسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور**» رواه البخاري ومسلم من رواية عائشة وحفصة وابن عمر رضي الله عنهم، وعن أم شريك أنّه ﷺ أمر بقتل الأوزاغ رواه الشيخان. وأمّا قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: 145] الآية، فقد قال الشافعي وغيره من العلماء: معناه مما كنتم تأكلونه وتستطيبونه، وقال الغزالي في «**الوسيط**»: لا يؤكل من الحشرات إلا الضب، وقد استدرك عليه: اليربوع وابن عرس وأم حبين والقنفذ والدلدل، وسيأتي الكلام عليهن في أماكنهن إن شاء الله تعالى.

الحشو والحاشية: صغار الإبل التي لا كبار فيها وكذلك من الناس.

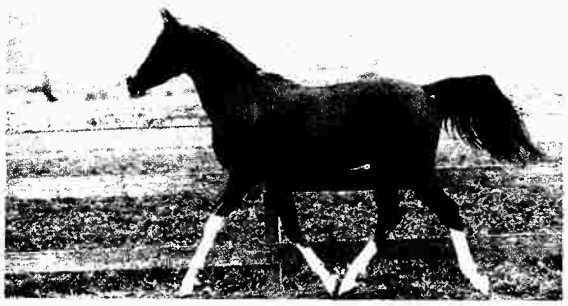

الحصان: بكسر الحاء المهملة، الذكر من الخيل؛ قيل إنّما سمي حصاناً لأنّه حصن ماءه فلم يَنْزُ إلاّ على كريمة، روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط فغشيته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو فجعل فرسه ينفر، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**» والرجل المذكور أسيد بن حضير. وفي الخبر أن فرعون هاب دخول البحر، وكان على حصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون أنثى، فجاءه جبريل على فرس وديق، أي تشتهي الفحل على صورة هامان،

وقال له: تقدم فخاض البحر فتبعها حصان فرعون، وميكائيل يسوقهم لا يشرد منهم أحد فلما صار آخرهم في البحر وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم فأغرقهم أجمعين. وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، أنّه قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفاً، وقال عمر بن ميمون: كانوا ستمائة ألف؛ وقيل: خرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخول مصر مع يعقوب اثنين وسبعين ألفاً ما بين رجل وامرأة، فلما أرادوا المسير ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت أخذ على أخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم، فلذلك انسد علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره، فلم يعلموا، فقام موسى ينادي: أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف إلا أخبرني به ومن لم يعلم فصمت أذنه عن قولي، فكان يمر بين الرجلين وهو ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز من بني إسرائيل فقالت: أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك، فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي عز وجل، فأمره الله أن يعطيها سؤالها فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة، فأسألك أن لا تنزل غرفة في الجنة إلا نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنه في جوف الماء في النيل، فادع الله حتى يحسر عنه الماء، فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء ودعا الله تعالى أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام، ففتح لهم الطريق فساروا وموسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم ونذر بهم فرعون، فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى تصيح الديكة، قال عمرو بن ميمون: فوالله ما صاح ديك تلك الليلة، فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات، وقال شيخ التفسير محمد بن جرير الطبري: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم، وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان في الدهم وكان بين يديه مئة ألف ناشب ومئة ألف أصحاب حراب ومئة ألف أصحاب أعمدة وكان الماء في غاية زيادته، وكان قد أشرف على بني إسرائيل حين أشرقت الشمس فتحير أصحاب موسى، فأوحى الله تعالى إلى موسى: أن أضرب بعصاك البحر، فضربه فلم يطعه فأوحى الله تعالى إليه أن كنّه فضربه وقال: انفلق أبا خالد بإذن الله تعالى، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق، وارتفع الماء بين كل طريق كالجبل، وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبساً، فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبهم الماء كالجبل الضخم، فصار لا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا، وقال كل سبط: قد قتل إخواننا، فأوحى الله تعالى إلى

الماء أن يشبك، فصار الماء شبكات كالطاقات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبرو البحر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: 50] وذلك أنّ فرعون لما وصل إلى البحر ورآه متقطعاً قال لقومه: انظروا إلى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا، ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقالوا له: إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل، يعني: موسى، وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى، فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق، فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئاً، وهو لا يرى فرس جبريل عليه السلام، فاقتحمت الخيول خلفه البحر، وجاء ميكائيل عليه السلام على فرس خلف القوم يسوقهم، حتى لم يبق رجل وهو يقول لهم: الحقوا بأصحابكم حتى إذا خاضوا كلهم البحر، وخرج جبريل عليه السلام من البحر وهمّ أولهم بالخروج، أمر الله عز وجل البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم أجمعين، وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وذلك بمرأى من بني إسرائيل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: 50] أي: إلى مصارعهم؛ وقيل إلى هلاكهم، والبحر هو بحر القلزم طرف من بحر فارس، انتهى.

وقال قتادة هو بحر وراء مصر يقال له أساف، ولا خلاف أنّ فرعون مات كافراً، ولا التفات إلى قول من قال خلاف ذلك ولا تعريج عليه، والنزاع في أنّه مات مسلماً مكابرة وخرق للإجماع، والله أعلم. وذكر ابن خَلِّكان أنّ عبد الملك بن مروان لما عزم على الخروج لمحاربة مصعب بن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه، وأن يستنيب غيره، وألحت عليه في المسألة، فلما لم يسمع منها بكت وبكى من حولها من حشمها فقال عبد الملك: قاتل الله كثيراً كأنّه رأى موقفنا هذا حين قال:

إذا ما أرادَ الغزوَ لم يثنِ همّه حَصَانُ[1] عليها نَظْمُ دُرٍّ يزينُها
نَهَتْه فلمَّا لم تَرَ النهيَ عاقَهُ بكتْ، فبكى مما شجاها قَطينُها

ثم عزم عليها أن تقصر، وخرج. ويضاهي هذه الحكاية في طرفة اتفاقها وملحة مساقها ما حكي أنّ المأمون حين بنى على بوران بنت الحسن بن سهل، فُرِشَ له حصيرٌ منسوج بالذهب ثم نثر على قدميها لآلىء كثيرة فلما رأى المأمون تساقط اللآلىء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال: قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد هذه الحال حين شبه حباب كأسه بقوله:

كأن كبرى وصغرى من فواقعها حصباء درٍ على أرضٍ من الذهبِ

وقد عيب ذلك على أبي نواس وقد اعتذر عنه بأنّه جعل من في البيت زائدة على ما

(١) الحَصَان: المرأة العفيفة.

أجازه أبو الحسن الأخفش من زيادتها في الكلام الموجب وأول عليه قوله تعالى: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: 43] وقيل؛ تقديره فيها برد، والله أعلم.

الحصور: الناقة الضيقة الإحليل، والحصور من الرجال الذي لا يقرب النساء.

فائدة أجنبية: ذكرها الصاغاني في «العباب» قال: سألني والدي تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه بحبوحة جنته بعزته قبل تسعين وخمسمائة، وأنا إذ ذاك أسحب مطارف الشباب في رغد العيش اللباب، وهو يفيدني غرر الفوائد ويزُقُّني درر الفرائد، وكان رحمه الله ريان من الفضائل، ظعاناً عن الرذائل، عن معنى قولهم: قد أثر حصير الحصير في حصير الحصير، فلم أدر ما أقول، فقال الحصير: الأول: البارية، والثاني: السجن، والثالث: الجنب، والرابع: الملك، انتهى.

حضاجر: اسم للذكر والأنثى من الضباع، سميت بذلك لسعة بطنها وعظمه وهو معرفة، قال الحطيئة:

هـلَّا غـضـبـتَ لـرحـل جـا ركَ إذْ تَـنَـبَّـذُه حـضـاجـر

كذا أنشده ابن سيده وأنشده الجوهري:

هـلَّا غـضـبـت لـجـار بـيـتـك

قال السيرافي: إنّما جعل اسماً لها على لفظ الجمع إرادة للمبالغة، وقال سيبويه: سمعنا العرب تقول: وطب حضجر وأوطب حضاجر، ولذلك لا ينصرف في معرفة ولا نكرة لأنه اسم لواحد على بنية الجمع، وقال ابن الحاجب في «**كافيته**»: وحضاجر اسم علم للضبع، غير منصرف لأنّه منقول عن الجمع، قلت: وهو الأوجه، والله أعلم.

الحضب: الذكر الضخم من الحيات؛ وقيل حية دقيقة؛ وقيل الأبيض من الحيات.

الحفان: فراخ النعام، واحدها حفانة الذكر والأنثى فيه سواء، وربما سمّوا صغار الإبل حفاناً.

الحفص: ولد الأسد وبه سمّي الرجل حفصاً.

الحقم: ضرب من الطير يشبه الحمام، ويقال: إنّه الحمام نفسه.

الحلزون: دود في جوف أنبوبة حجرية يوجد في سواحل البحار وشطوط الأنهار، وهذه الدودة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية، وتمشي يمنة ويسرة تطلب مادة تغتذي بها، فإذا أحست بلين ورطوبة انبسطت إليها، وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت في جوف الأنبوبة الصدفية حذراً من المؤذي لجسمها، وإذا انسابت جرّت بيتها معها.

وحكمه: التحريم لاستخبائه، وقد قال الرافعي في السرطان: إنّه يحرم لما فيه من الضرر

لأنّه داخل في عموم تحريم الصدف، وسيأتي الكلام عليه في باب السين المهملة، وأمّا المحار الذي يسمّى الدنيلس، فسيأتي الكلام عليه في باب الدال المهملة.

الخواص: قال ابن سينا: طلي الجبهة بالحلزون يمنع انصباب المواد إلى العين، والله أعلم.

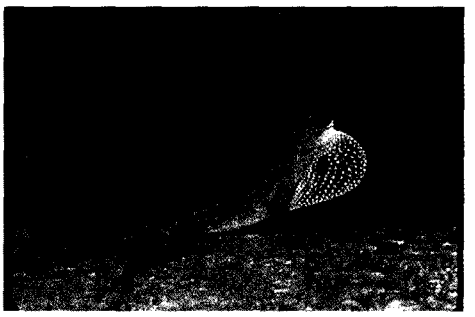

الحلكة والحُلكاء والحَلكاء والحِلكى: بفتح الحاء المهملة وضمها وكسرها، دويبة شبيهة بالعظاية تغوص في الرمل.

الحلم: القراد العظيم الواحدة حلمة، وقال الجوهري: هو مثل القمل وسيأتي أنّه القراد المهزول، قال: والحلم أيضاً: دود يقع في جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل، فإذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقاً، يقال: حلم الأديم بكسر اللام، يحلم بفتحها حلماً إذا أكله، قال الشاعر وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

فإنكَ والكتابَ إلى عليٍّ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ

قال ابن السكيت: وهذه الدويبة هي التي تأكل الكتب وتمزق الأوراق، وفي الحديث: أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ينهى أن تنزع الحلمة من أذن دابته، وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري أنّ النبي ﷺ صلى بأصحابه يوماً، فنزع نعليه ووضعهما على يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما انقضت الصلاة، قال: «**ما لكم خلعتم نعالكم؟**» قالوا: يا نبي الله رأيناك خلعت نعليك، فخلعنا نعالنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنّما نزعتهما لأنّ جبريل أخبرني أنّ فيهما دم حلمة**»، انتهى. قلت: والمراد به الدم اليسير المعفو عنه، وإنما فعله النبي ﷺ تنزهاً عن النجاسة وإن كان معفواً عنها، وقد أطلق أصحابنا العفو عن اليسير من سائر الدماء إلاّ المتولي فإنّه استثنى من ذلك دم الكلب والخنزير، واحتج بغلظ نجاستهما، وأمّا الدم الباقي على اللحم وعظامه، فإنه مما تعم به البلوى، وقل من أصحابنا من تعرض له، ذكر أبو إسحق الثعلبي المفسر من أئمة أصحابنا عن جماعة كثيرة من التابعين أنّه لا بأس به ونقله عن جماعة من أصحابنا لمشقة الاحتراز، وصرّح الإمام أحمد وأصحابه بأنّ ما يبقى من الدم في اللحم معفو عنه، ولو غلبت حمرة الدم في القدر لعسر الاحتراز عنه، وحكوه عن عائشة وعكرمة والثوري وبه قال إسحق: لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: 145] فلم ينه عن كل دم بل نهى عن المسفوح خاصة وهو السائل، والله تعالى أعلم. قال الأصمعي: ويقال للقراد أول ما يكون صغيراً: قمقامة ثم يصير حمنانة ثم يصير قراداً ثم يصير حلماً، وأنشد أبو علي الفارسي:

وما ذكرٌ فإن يكبُرْ فأنثى شديد الأزم ليس له ضُرُوسُ

والأكثر أن يجمع ضرس على أضراس والأسنان كلها إناث إلا الأضراس والأنياب.

وحكمه: تحريم الأكل لاستخباثه، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في باب القاف في لفظ القراد.

الأمثال: قالت العرب: القردان فما بال الحلم، وهو قريب من قولهم: استفت الفصال حتى القرعى، وسيأتي في بابه.

الحمار الأهلي: الحمار جمعه حمير وحمر وأحمرة، وربما قالوا: للأتان حمارة وتصغيره حُمَيِّر ومنه توبة بن الحُمَيِّر صاحب ليلى الأخيلية الذي تقدم ذكره وكنية الحمار أبو صابر وأبو زياد قال الشاعر:

زيادٌ لستُ أدري مَن أبوه
ولكنَّ الحِمَارَ أبو زيادِ!

ويقال للحمارة: أم محمود وأم تولب وأم جحش وأم نافع وأم وهب، وليس في الحيوان ما ينزو على غير جنسه ويلقح إلا الحمار والفرس وهو ينزو إذا تم له ثلاثون شهراً، ومنه نوع يصلح لحمل الأثقال، ونوع لين الأعطاف سريع العدو يسبق براذين الخيل، ومن عجيب أمره أنّه إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف يريد بذلك الفرار منه، قال حبيب بن أوس الطائي يخاطب عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه:

أقدمتَ ـ ويحكَ ـ من هجوي على خطرٍ والعيرُ يقدم من خوفٍ على الأسدِ

ويوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات التي مشى فيها ولو مرة واحدة، وبحدة السمع، وللناس في مدحه وذمه أقوال متباينة بحسب الأغراض، فمن ذلك أنّ خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي كانا يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين، فأما خالد فلقيه بعض الأشراف بالبصرة على حمار فقال: ما هذا يا بن صفوان؟ فقال: عير من نسل الكداد يحمل الرحلة ويبلغني العقبة ويقل داؤه ويخف دواؤه ويمنعني من أن أكون جباراً في الأرض وأن أكون من المفسدين. وأما الفضل فإنّه سُئل عن ركوب الحمار فقال: إنّه من أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتقى، فسمع أعرابي كلامه فعارضه بقوله: الحمار شنار والعير عار منكر الصوت لا ترقأ به الدماء ولا تمهر به النساء وصوته أنكر الأصوات، قال الزمخشري: الحمار مثل في الذم الشنيع والشتيمة، ومن استيحاشهم لذكر اسمه أنّهم يكنون عنه، ويرغبون عن التصريح به فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنون عن الشيء

المستقذر، وقد عد من مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم ذوي مروءة، ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وإن بلغت به الرحلة الجهد، انتهى. والمروءة بالهمز، وتركه. قال الجوهري: هي الإنسانية وقال ابن فارس: هي الرجولية؛ وقيل: إن ذا المروءة من يصون نفسه عن الأدناس، ولا يشينها عند الناس؛ وقيل: من يسير بسيرة أمثاله في زمانه ومكانه، قال الدارمي: قيل المروءة في الحرفة؛ وقيل في آداب الدين كالأكل والصياح في الجم الغفير وانتهار السائل، وقلة فعل الخير مع القدرة عليه، وكثرة الاستهزاء والضحك ونحو ذلك، انتهى. وفي «**الصحيحين**» وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «**أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله صورته صورة حمار أو يحول رأسه رأس حمار**»، ومعنى ذلك: والله أعلم، أن يمسخ صورته كلها، فيجعل رأسه رأس حمار وبدنه بدن حمار، وفيه دليل على جواز وقوع المسخ أعاذنا الله منه، وهو لا يكون، إلا من شدة الغضب قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: 60] الآية وهذا الحديث صريح في تحريم مسابقة الإمام بالركوع والسجود وغيرهما من أركان الصلاة، وبه صرح البغوي والمتولي وصححه النووي في «**شرح المهذب**»، وهو ظاهراً إيراد الكفاية. وفي «**الصحيحين**» وغيرهما. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم نهاق الحمير، فتعوّذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً، وإذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً**» وسيأتي في باب الدال المهملة إن شاء الله تعالى.

غريبة: رأيت في «**كتاب النصائح**» لابن ظفر قال: دخلت ثغراً من ثغور الأندلس فألفيت به شاباً متفقهاً من أهل قرطبة، فآنسني بحديثه وذاكرني طرفاً من العلم، ثم إني دعوت فقلت: يا من قال: ﴿وَسْـَٔلُوا ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: 32] فقال: ألا أحدثك عن هذه الآية بعجب؟ قلت: بلى، فحدثني عن بعض سلفه أنه قال: قدم علينا من طليطلة راهبان كانا عظيمي القدر بها ووكانا يعرفان اللسان العربي، فأظهرا الإسلام وتعلما القرآن والفقه، فظن الناس بهما الظنون قال: فضممتهما إلي وقمت بأمرهما، وتجسست عليهما، فإذا هما على بصيرة من أمرهما، وكانا شيخين فقلما لبث أحدهما حتى توفي وأقام الآخر أعواماً ثم مرض، فقلت له يوماً: ما سبب إسلامكما؟ فكره مسألتي فرفقت به فقال: إن أسيراً من أهل القرآن كان يخدم كنيسة نحن في صومعة منها فاختصصنا به لخدمتنا وطالت صحبته لنا حتى فقهنا اللسان العربي، وحفظنا آيات كثيرة من القرآن لكثرة تلاوته له، فقرأ يوماً ﴿وَسْـَٔلُوا ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، فقلت لصاحبي: وكان أشد مني رأياً وأحسن فهماً: أما تسمع دعاوى هذه الآية، فزجرني ثم إنّ الأسير قرأ يوماً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] فقلت لصاحبي: هذه أشد من تلك فقال: ما أحسب الأمر إلا على ما يقولون وما بشر عيسى إلاّ بصاحبهم، قال: واتفق يوماً أني غصصت بلقمة والأسير قائم علينا يسقينا الخمر على طعامنا، فأخذت الكأس منه، فلم أنتفع بها فقلت

في نفسي: يا رب إنّ محمداً قال عنك إنّك قلت: واسألوا الله من فضله، وإنك قلت: ادعوني أستجب لكم، فإن كان صادقاً فاسقني، فإذا صخرة يتفجر منها الماء، فبادرت فشربت منه، فلما قضيت حاجتي انقطع ووراثي ذلك الأسير فشكّ في الإسلام ورغبت أنا فيه وأطلعت صاحبي على أمري، فأسلمنا معاً وغدا علينا الأسير يرغب في أن نعمده وننصّره، فانتهرناه، وصرفناه عن خدمتنا، ثم إنّه فارق دينه وتنصر، فحرنا في أمرنا ولم نهتد لوجه الخلاص، فقال صاحبي: وكان أشد مني رأياً ،لم لا ندعو بتلك الدعوة فدعونا بها في التماس الفرج، ونمنا القائلة، فأريت في المنام أن ثلاثة أشخاص نورانية دخلوا معبدنا، فأشاروا إلى صور فيه، فانمحت وأتوا بكرسي، فنصبوه ثم أتى جماعة مثلهم في النور والبهجة وبينهم رجل ما رأيت أحسن خلقاً منه، فجلس على الكرسي، فقمت إليه فقلت له: أنت السيد المسيح؟ فقال: لا بل أنا أخوه أحمد أسلم، فأسلمت، ثم قلت: يا رسول الله كيف لنا بالخروج إلى بلاد أمتك؟ فقال لشخص قائم بين يديه: اذهب إلى ملكهم وقل له يحملهما مكرمين إلى حيث أحبّا من بلاد المسلمين وأن يحضر الأسير فلاناً، ويعرض عليه فلاناً يعرض عليه العود إلى دينه، فإن فعل يخلي سبيله وإن لم يفعل فليقتله، قال: فاستيقظت من منامي، وأيقظت صاحبي وأخبرته بما رأيت وقلت له: ما الحيلة، فقال: قد فرج الله أما ترى الصور ممحوّة، فنظرت فوجدتها ممحوّة فازددت يقيناً ثم قال لي صاحبي: قم بنا إلى الملك، فأتيناه فجرى في تعظيمنا على عادته وأنكر قصدنا له فقال له صاحبي: افعل ما أمرت به في أمرنا وفي أمر فلان الأسير، فانتقع لونه وأرعد ثم دعا بالأسير وقال له: أنت مسلم أو نصراني؟ فقال: بل نصراني، فقال له: ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لا يحفظ دينه، فقال: لا أرجع إليه أبداً فاخترط الملك سيفه وقتله بيده، ثم قال لنا سراً: إنّ الذي جاء إليّ وإليكما شيطان، ولكن ما الذي تريدان؟ قلنا: الخروج إلى بلاد المسلمين، قال: أنا أفعل ما تريدان لكن أظهرا أنكما تريدان بيت المقدس، فقلنا له: نفعل، فجهزنا وأخرجنا مكرمين، انتهى.

وروى النسائي والحاكم عن جابر بن عبد الله: أنّ النبيّ ﷺ: قال: «**إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير في الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى ما لا ترونه وأقلوا الخروج إذا هدأت الرِّجل فإن الله يبث في الليل من خلقه ما شاء**»، ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم وفي «**سنن أبي داود**» وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلاّ قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة**» وفي «**تاريخ نيسابور**» و «**كامل ابن عدي**» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «**شر الحمير الأسود القصير**»، وقال الجوهري: تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات في طلق واحد، قال الشاعر:

لعمري لئن عَشَّرْتُ من خيفةِ الرَّدى نُهاقَ حمارٍ إنني لجزوعُ

وذلك أنهم إذا خافوا من وباء بلد عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوها، وكانوا يزعمون أنّ ذلك ينفعهم.

غريبة أخرى: قال مسروق: كان رجل بالبادية له حمار وكلب وديك، كان الديك يوقظهم للصلاة، والكلب يحرسهم، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم، فجاء الثعلب، فأخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحاً فقال: عسى أن يكون خيراً، ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله، فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً، ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال: عسى أن يكون خيراً، ثم أصبحوا ذات يوم، فنظروا فإذا قد سبي من كان حولهم وبقوا سالمين، وإنّما أخذوا أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة، فكانت الخيرة في هلاك ما كان عندهم من ذلك كما قدّر الله سبحانه وتعالى، فمن عرف خفيَّ لطف الله رضي بفعله.

فائدة: روى البيهقي في «**دلائل النبوّة**» بسنده إلى أبي سبرة النخعي قال: أقبل رجل من اليمن، فلما كان في أثناء الطريق نفق حماره، فقام، فتوضأ، ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إنّي جئت مجاهداً في سبيلك ابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، ولا تجعل لأحد عليَّ اليوم منة، أسألك أن تبعث لي حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه، قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، ومثل هذا يكون معجزة لصاحب الشريعة حيث يكون في أمّته من يحيي الله له الموتى كما سبق ويأتي. والرجل المذكور واسمه نباتة بن يزيد النخعي، قال الشعبي: أنا رأيت ذلك الحمار يباع بعد ذلك في السوق؛ فقيل للرجل: أتبيع حماراً قد أحياه الله لك؟ قال: فكيف أصنع؟ فقال رجل من رهطه ثلاث أبيات: حفظت منها هذا البيت:

ومنّا الذي أحيا الإلهُ حمارَهُ وقد مات منه كل عضوٍ مفصَّلِ

فائدة أخرى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260] قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج رحمهم الله تعالى، كان سبب هذا السؤال من إبراهيم ﷺ أنّه مر على دابة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: بحيرة طبرية، قالوا: فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر، وكان البحر إذا مد جاءت الحيتان ودواب البحر، فأكلت منها فما وقع منها يصير في البحر وإذا جزر جاءت السباع، فأكلت منها فما وقع منها يصير تراباً، فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها، فما سقط منها قطعته الرياح في الهواء، فلما رأى إبراهيم ذلك تعجب منها وقال: يا رب قد علمت لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر، فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك فأزداد يقيناً، فعاتبه الله على ذلك فقال: أولم تؤمن؟ قال: بلى يا رب قد علمت وآمنت، ولكن ليطمئن قلبي، أي: يسكن إلى المعاينة والمشاهدة، فإبراهيم ﷺ كان يعلم يقيناً أنّ الله

يحيي الموتى، ولكنه أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين لأنّ الخبر ليس كالمعاينة، وما أحسن قول بعضهم:

لئن كلَّمتُ بالتفريقِ قلبي فأنتَ بخاطري أبداً مقيمُ
ولكن للعيانِ لطيفُ معنى له سأل المعاينةَ الكليمُ

وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنّه لما احتج على نمروذ فقال: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]، فقال نمروذ: أنا أحيي وأميت، فقتل رجلاً وأطلق آخر فجعل ترك القتل إحياءً فقال إبراهيم: إنّ الله يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمروذ: أنت عاينته فلم يقدر أن يقول نعم، فانتقل إلى حجة أخرى، ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى، قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي بقوّة حجتي، وإذا قيل لي أنت عاينته أقول نعم قد عاينته، وقال سعيد بن جبير: لمّا اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار، فدخل داره، وكان إبراهيم من أغير الناس إذا خرج أغلق بابه، فلما جاء وجد في داره رجلاً فثار عليه إبراهيم ليأخذه، فقال له: من أنت؟ ومن أذن لك أن تدخل داري بغير إذني؟ فقال: أذن لي رب هذه الدار، فقال له إبراهيم: صدقت وعرف أنّه ملك فقال له: من أنت فقال: أنا ملك الموت جئت أبشرك بأنّ الله قد اتخذك خليلاً، فحمد الله تعالى، ثم قال: ما علامة ذلك؟ قال: إجابة الله دعاءك وإحياء الموتى بسؤالك، فحينئذٍ قال إبراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي أنّك قد اتخذتني خليلاً وأجبتني إذا دعوتك. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال**: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: 260] **ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**». وقد أخرجه مسلم عن ابن وهب أيضاً، وقوله: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»، قال المزني: لم يشك النبي ولا إبراهيم صلى الله عليهما وسلم في أنّ الله قادر على أن يحيي الموتى، وإنّما شكّا في أنّه تعالى هل يجيبهما إلى ما سألاه أم لا، وقال الخطابي: ليس في قوله: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**» اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأنّ لا يشك، وإنّما قال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله: «**ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**»، فيه إعلام أنّ المسألة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم تعرض من جهة الشك لكن من قبيل زيادة العلم بالعيان، فإنّ العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال؛ وقيل: لما نزلت هذه الآية قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم ﷺ، وسيأتي الكلام على تمام الآية في باب الطاء المهملة في الكلام على لفظ الطير.

فائدة أخرى: قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ [البقرة: 259] الآية، هذه الآية منسوقة على الآية التي قبلها تقديره، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: 258] إلى الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها؛ وقيل تقديره: وهل رأيت كالذي حاجَّ إبراهيم في ربه، وهل رأيت كالذي مر على قرية، قاله البغوي.

وقد اختلف المفسرون وأهل السِّيَر في ذلك المار، فقال وهب بن منبه: هو أرمياء بن حلقيا وكان من سبط هارون وهو الخضِر، وقال قتادة وعكرمة والضحاك: وهو عزير بن شرخيا وهو الأصح وقال مجاهد: هو كافر شك في البعث، واختلفوا في تلك القرية، فقال وهب وعكرمة وقتادة: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: وهي الأرض المقدسة، وقال الكلبي: هي دير سابر آياد، وقال السدي: سلماياد؛ وقيل دير هرقل؛ وقيل الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف؛ وقيل: هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس، وهي خاوية ساقطة، يقال: خوي البيت بكسر الواو يخوي خوى مقصوراً إذا سقط، وخوى البيت بالفتح يخوى خواءً ممدود إذا خلا على عروشها سقوفها، واحدها عرش وكل بناء عرش.

وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحق صاحب السيرة أنّ الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أنوص ملك بني إسرائيل ليسدده، ويأتيه بالخبر من الله، وكان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبيائهم، فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم له أمره ويشير عليه برشده، ويأتيه بالخبر من ربه عز وجل، فعظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي فأوحى الله إلى أرمياء أن ذكِّر قومك نعمي، وعرفهم أحداثهم، فقام أرمياء فيهم، ولم يدر ما يقول، فألهمه في الوقت خطبة طويلة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله عز وجل:

وإني أحلف بعزتي لأقيضنّ لكم فتنة يتحيّر فيها الحليم، ولأسلطنّ عليكم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزع من قلبه الرحمة، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله إلى أرمياء إنّي مهلك بني إسرائيل بيافث، ويافث: أهل بابل، وهم ولد يافث بن نوح، فلمّا سمع أرمياء ذلك صاح وبكى ومزّق ثيابه ونبذ التراب على رأسه، فأوحى الله إليه: يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك؟ قال: نعم، يا رب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسر به، فأوحى الله إليه: وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك، ففرح بذلك أرمياء وقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل أبداً، ثم أتى الملك، فأخبره بذلك، وكان ملكاً صالحاً، فاستبشر وفرح، وقال: إن يعذّبنا ربّنا فبذنوب كثيرة وإن يعف عنّا فبرحمته.

ثم إنّهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلاّ معصية، وتمادياً في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم، فقل الوحي ودعاهم الملك إلى التوبة، فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر، فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما قصد سائراً أتى الخبر للملك، فقال لأرمياء: أين ما زعمت أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليك؟ فقال أرمياء: إنّ الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق.

فلما قرب الأجل بعث الله إلى أرمياء ملكاً متمثلاً في صورة رجل من بني إسرائيل، فقال له أرمياء: من أنت؟ فقال: أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهلي ورحمي وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلاّ حسناً ولم يزدهم إكرامي إياهم إلا سخطاً، فأفتني فيهم، فقال: أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير، فانصرف الملك فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل، فجلس بين يديه، فقال له أرمياء: من أنت؟ قال: أنا الذي أتيتك أستفتيك في أهلي ورحمي فقال له أرمياء: أما ظهرت أخلاقهم لك بعد؟ قال: يا نبي الله ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحمه إلاّ أتيتها إليهم وأفضل، قال له أرمياء: ارجع فأحسن إليهم اسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم لك، فانصرف الملك ومكث أياماً.

ونزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد المنتشر ففزع منهم بنو اسرائيل، وقال ملكهم لأرمياء: أين ما وعدك ربك؟ فقال أرمياء: إني واثق بوعد ربي، ثم أقبل الملك على أرمياء وهو جالس على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه، فجلس بين يديه، فقال له أرمياء: من أنت؟ قال: أنا الذي أتيتك مرتين أستفتيك في شأن أهلي ورحمي، فقال له أرمياء: ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال له الملك: يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، واليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله تعالى، فقال أرمياء: على أي عمل رأيتهم؟ قال: على عمل عظيم من سخط الله عزّ وجلّ، فغضبت لله وأتيتك وأنا أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلاّ ما دعوت الله عليهم ليهلكهم، فقال أرمياء: يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم، وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم، فلما خرجت الكلمة من فم أرمياء أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس، فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه، فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه، وقال: يا مالك السموات والأرض أين ميعادك الذي وعدتني؟ فنودي أنّه لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك ودعائك، فعلم أنّها فتياه، وأنّ ذلك السائل كان رسولاً من الله إليه، فطار أرمياء حتى خالط الوحوش.

ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً فيقذفه في بيت المقدس، ففعلوا حتى ملأوه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس، فاجتمع

عنده كبيرهم وصغيرهم من بني إسرائيل، فاختار منهم سبعين ألف صبي، فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه، فأصاب كل واحد منهم أربعة أغلمة، وكان من أولئك الأغلمة دانيال وحنانيا، وفرّق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلثاً قتلهم وثلثاً سباهم وثلثاً أقرهم بالشام، فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله تعالى ببني إسرائيل بظلمهم، فلما ولّى بختنصر راجعاً عنهم إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أرمياء على حمار له معه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي إيلياء، فلما وقف عليها ورأى خرابها، قال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها؟ ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد، فألقى الله تعالى عليه النوم، فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره وعصيره وتينه عنده، وأعمى الله عنه العيون، فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير عن أكل لحمه، فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله تعالى ملكاً من ملوك فارس يقال له نوشك إلى بيت المقدس ليعمره، فانتدب في ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامر، وجعلوا يعمرونه، وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل ولم يمت أحد منهم ببابل، وردهم الله إلى بيت المقدس ونواحيه وعمروه ثلاثين سنة وكثروا، حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه.

فلما مضت المائة سنة أحيا الله تعالى من أرمياء عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح، فسمع صوتاً من السماء: أيها العظام البالية إنّ الله تعالى يأمركِ أن تجتمعي، فاجتمع بعضها إلى بعض، واتصل بعضها ببعض، ثم نودي أنّ الله عزّ وجل يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً، فكانت كذلك ثم نودي أنّ الله عزّ وجل يأمرك أن تحيا فقام بإذن الله عزّ وجلّ، ونهق وعمر الله تعالى أرمياء، فهو الذي يرى في الفلوات، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: 259] الآية، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: 259] أي لم يتغير وكان التين كأنه قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته، نقله عن وهب بن منبه، انتهى.

وسيأتي الكلام على الخضِر واختلاف العلماء في اسمه ونبوته في لفظ الحوت من هذا الباب.

وقال قتادة وعكرمة والضحاك: إنّ بختنصر لما خرب بيت المقدس وأقدم سبى بني إسرائيل بابل كان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود عليه الصلاة والسلام، فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل بدير هرقل على شط دجلة، فطاف في القرية، فلم ير فيها أحداً ورأى عامة شجرها حاملاً فأكل من الفاكهة، واعتصر من العنب فشرب منه وجعل الفاكهة في سلة والعصير في زق، فلمّا رأى خراب القرية، قال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: 259] قالها: تعجباً لا شكاً في البعث.

وقال السدي إنّ الله تعالى أحيا عزيراً ثم قال له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت

عظامه، فبعث الله ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهب بها الطير والسباع، فاجتمعت وركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حماراً من عظم ليس فيه لحم ولا دم، ثم كميت العظام لحماً ودماً فصار حماراً لا روح فيه، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار، فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بإذن الله تعالى، وقال قوم: أراد به عظام هذا الرجل، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لم يمت حماره، فأحيا الله عينيه ورأسه وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك، فنظر، فإذا حماره قائم كهيئته يوم ربطه حياً لم يطعم ولم يشرب مئة عام. وتقدير الآية: وانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف ننشرها، هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: لما أحيا الله عزّ وجلّ عزيراً بعدما أماته مئة سنة ركب حماره، وقصد بيت المقدس، حتى أتى محلته، فأنكره الناس وأنكروا منزلته، فانطلق على وهم، حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها من العمر مئة وعشرون سنة، كانت أمة لهم، وكان عزير قد خرج عنهم وهي ابنة عشرين سنة، وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير: يا هذه! هذا منزل عزير؟ قالت: نعم، هذا منزل عزير، وبكت، وقالت: ما رأيت أحداً منذ كذا وكذا سنة يذكر عزيراً، قال: فإني أنا عزير، قالت: سبحان الله إنّ عزيراً فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر، قال: فإنّي عزير كان الله قد أماتني مئة سنة ثم بعثني، قالت: فإن عزيراً كان مجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية، فادع الله تعالى أن يرد علي بصري حتى أراك، فإن كنت عزيراً عرفتك، فدعا ربه سبحانه وتعالى، ومسح بيده على عينيها، فأبصرت، ثم أخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله تعالى، فأطلق الله رجليها، فقامت صحيحة، فنظرت إليه وقالت: أشهد أنّك عزير، فانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وفيهم ابن لعزير شيخ ابن مئة سنة وثماني عشرة سنة، وبنو بنيه شيوخ في المجلس، فنادت هذا عزير قد أتاكم الله به، فكذبوها، فقالت: أنا فلانه مولاتكم دعا لي عزير ربه فردّ علي بصري وأطلق رجليّ، وزعم أن الله سبحانه كان أماته مئة سنة ثم بعثه، قال: فأقبل الناس إليه فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه، فإذا هو كما قال، انتهى.

وقال السدي والكلبي: لما رجع إلى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة، فأتاه ملك بإناء من الله تعالى فيه ماء فشرب منه، فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبياً فقال: أنا عزير فلم يصدقوه، فقال: إنّي عزير بعثني الله تعالى إليكم لأجدد لكم توراتكم قالوا: فأملها علينا، فأملاها عليهم عن ظهر قلبه، فقالوا: ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعدما ذهبت إلاّ أنّه ابنه، فقالوا: عزير ابن الله تعالى، تعالى الله وتقدس عن الصاحبة والولد، وكان الله قد أمات

عزيراً وهو ابن أربعين سنة وبعثه وهو ابن مئة وأربعين سنة، وكان أولاده وأولاد أولاده شيوخاً وعجائز، وهو شاب أسود الرأس واللحية، فسبحان من هو على كل شيء قدير.

فائدة أخرى: ذكر ابن خلكان وغيره من المؤرخين أنّ قيصر ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إنّ رسلي أتتني من قبلك، فزعمت أنّ قبلكم شجرة تخرج مثل آذان الحمر، ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرّد والزبرجد الأخضر، ثم تحمر، فتكون مثل الياقوت الأحمر ثم تينع وتنضج، فتكون كأطيب فالوذج، ثم تيبس، فتكون عصمة المقيم وزاد المسافر، فإن تكن رسلي صدقتني، فما أرى هذه الشجرة إلاّ من شجر الجنة، فكتب إليه عمر: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم. إن رسلك قد صدقتك، هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله تعالى على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: 59-60].

وذال الزمرد معجمة ودال الزبرجد مهملة، وقيصر كلمة افرنجية معناها شق عنه، وسببه على ما قاله المؤرخون: أنّ أم قيصر ماتت في المخاض فشق بطنها، وأخرج فسمّي قيصراً، وكان يفخر بذلك على الملوك ويقول إنّه لم يخرج من الرحم واسمه أغسطس، وفي زمن ملكه ولد المسيح عليه الصلاة والسلام، ثم وضع هذا اللقب لكل من ملك الروم كما لقبوا ملك الترك خاقان، وملك فارس كسرى، وملك الشام هرقل، وملك القبط فرعون، وملك اليمن تُبَّعاً، وملك الحبشة النجاشي، وملك فرغانة الإخشيد، وملك مصر في الإسلام سلطاناً، قال ابن خلّكان: وهنا نكتة يسأل عنها وهي أنّ الروم، يقال لهم: بنو الأصفر، فما السبب في تسميتهم بذلك، فيقال: إنّ ملك الروم كان قد احترق في الزمن الأوّل، فبقيت منه امرأة، فتنافسوا في الملك، حتى وقع بينهم ثم اصطلحوا على أن يملكوا أوّل من يشرف عليهم، فجلسوا مجلساً لذلك، فأقبل رجل من اليمن ومعه عبد له حبشي يريد الروم، فأبق العبد منه، فأشرف عليهم، فقالوا: انظروا في أي شيء وقعتم، فزوّجوه تلك المرأة وملكوه عليهم، فولدت منهم غلاماً، فسموه الأصفر لصفرة لونه لكونه تولد بين الحبشي والمرأة البيضاء، ونسب الروم إليه ثم إن سيد العبد خاصمهم فيه، فقال العبد: صدق أنا عبده فأرضوه، فأعطوه حتى أرضوه، وبقي هذا النسب على الروم.

وفي «**كتاب النصائح**» لابن ظفر أنّه لمّا اشتد مرض الرشيد بـ «طوس» أحضر طبيباً طوسياً فارسياً، وأمر أن يعرض عليه ماؤه هو مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء، فجعل يستعرض القوارير، حتى رأى قارورة الرشيد، فقال: قولوا لصاحب هذا الماء يوصي، فإنّه قد انجلت قواه، وتداعت بنيته، فأقيم وأمر بالذهاب، فذهب ويئس الرشيد من نفسه، وتمثل قائلاً:

إنّ الطبيبَ بطبِّهِ ودوائهِ لا يستطيعُ دفاع نَحْبٍ قد أتى
ما للطبيب يموتُ بالداء الذي قد كان يُبرىء مثله فيما مضى؟!

وبلغه أنّ الناس قد أرجفوا بموته، فاستدعى بحمار وأمر فحمل عليه، فاسترخت فخذاه، فقال: أنزلوني صدق المرجفون، ثم استدعى بأكفان فتخيّر منها ما أعجبه، وأمر فشق له قبر أمام فراشه، ثم اطلع فيه، فقال: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحاقة: 28-29]، فتوفي في يومه رحمه الله تعالى.

وفي «**تاريخ ابن خلكان**» أنّ بعض أصحاب الحلاج ادّعى أنّه رئي يوم قتله وهو راكب على حمار في طريق النهروان، وأنّه قال لهم: لعلكم تظنون أني المضروب والمقتول، وكان سبب قتله أنّه جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر بالله، فأفتى القضاة والعلماء بإباحة دمه، فرسم المقتدر بتسليمه إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة فتسلمه بعد العشاء خوفاً من العامة أن تنزعه من يده، ثم أخرجه يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة عند باب الطاق، واجتمع عليه خلق كثير وأمر به فضربه الجلاد ألف سوط، فما استعفى ولا تأوّه، ثم قطع أطرافه الأربعة، وهو ساكن لا يضطرب، ثم حز رأسه وأحرقت جثته، وألقي رمادها في دجلة، ونصب الرأس ببغداد، ثم حمل وطيف به في النواحي والبلاد، وجعل أصحابه يعدّون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً، واتفق أن زادت دجلة تلك السنة زيادة وافرة، فادّعى أصحابه أنّ ذلك بسبب إلقاء رماده فيها وادّعى بعض أصحابه أنّه لم يقتل، وإنّما ألقي شبهه عند قتله على عدو له، ولما أخرج ليقتل أنشد قائلاً:

طلبتُ المستقر بكلِّ أرضٍ فلم أر لي بأرض مستَقَّرا
أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أنّي قنعتُ لكنت حُرًّا

ويحكى أنّ الحلاج أنشد عند قتله:

لم أسلم النفس للأسقام تتلفها إلاّ لعلمي بأنّ الموتَ يَشفيها
ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي أشهى إليّ من الدنيا وما فيها
نفس المحب على الآلام صابرة لعلّ متلفها يوماً يداويها

وكان الحلاّج قد صحب الجنيد ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، انتهى. وذكر الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام المقدسي في «**مفاتيح الكنوز**»: أنّه لما أتي به ليصلب، ورأى الخشب والمسامير ضحك ضحكاً كثيراً، ثم نظر في الجماعة، فرأى الشبلي فقال: يا أبا بكر أما معك سجادة قال: بلى، قال: افرشها لي، ففرشها، فتقدم وصلى ركعتين، فقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وبعدها، ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ﴾ [البقرة: 155]، الآية، ثم قرأ في الثانية فاتحة الكتاب وبعدها، ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: 185]، الآية، ثم ذكر كلاماً مطوّلاً، ثم تقدّم أبو الحارث السياف ولطمه لطمة

هشم وجهه وأنفه، فصاح الشبلي ومزق ثيابه وغشي على **أبي الحسن الواسطي وعلى جماعة** من المشايخ المشهورين، وكان الحلاج يقول: اعلموا أنّ **الله قد أباح لكم دمي فاقتلوني، ليس** للمسلمين اليوم شغل أهم من قتلي، وقال: إنّ قتلي قيام **بالحدود ووقوف مع الشريعة ومن** تجاوز الحدود أقيمت عليه الحدود، قلت: وقد اضطرب **الناس في أمره اضطراباً كبيراً متبايناً**، فمنهم من يعظّمه ومنهم من يكفّره، وقد ذكر الإمام قطب الوجود حجة الإسلام في كتاب «**مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار**» فصلاً مطوّلاً في أمره واعتذر عن إطلاقاته كقوله: أنا الحق وما في الجبة إلاّ الله، وحملها كلها على محامل حسنة، وقال: هذا من فرط المحبة وشدة الوجد وهو مثل قول القائل:

أنا مَن أهوى ومَن أهوى أنا فإذا أبصرتَه أبصرتنا

وحسبك هذا مدحة وتزكية، وكان ابن شريح إذا سئل عنه يقول: هذا رجل قد خفي عليَّ حاله وما أقول فيه، وهذا شبيه بكلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، وقد سئل عن علي ومعاوية رضي الله عنهما، فقال: دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نطهر من الخوض فيهم ألسنتنا؟ وهكذا ينبغي لمن يخاف الله أن لا يكفر أحداً من أهل القبلة بكلام يصدر عنه يحتمل التأويل على الحق والباطل، فإنّ الإخراج من الإسلام عظيم ولا يسارع به إلّا جاهل.

ويحكى عن شيخ العارفين قطب الزمان عبد القادر الجيلاني قدس الله سره أنّه قال: عثر الحلاّج ولم يكن له من يأخذ بيده ولو أدركت زمانه لأخذت بيده. وهذا وما سبق عن الإمام الغزالي في أمره كاف لمن له أدنى فهم وبصيرة. وسمّي الحلاّج لأنّه جلس يوماً على حانوت حلاج واستقصاه حاجة، فقال له الحلاّج: أنا مشتغل بالحلج فقال له: امض في حاجتي حتى أحلج عنك فمضى الحلاج في حاجته، فلما عاد وجد قطنه كله محلوجاً، وكان لا يحلجه عشرة رجال في أيام متعددة، فمن ثم قيل له الحلاّج؛ وقيل إنّه كان يتكلم على الأسرار ويخبر عنها، فسمى حلاج الأسرار، وكان من أهل البيضاء بليدة بفارس واسمه الحسين بن منصور، والله أعلم.

وذكر ابن خَلِّكان وغيره أنّ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ولّى محمد بن أبي بكر الصديق مصر، فدخلها سنة سبع وثلاثين، وقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام ومعهم معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة، وبالجيم في آخره، كذا ضبطه ابن السمعاني في «**الأنساب**»، وابن عبد البر وابن قتيبة وغيرهم ووقع في كثير من نسخ «**تاريخ ابن خلكان**» معاوية بن خديج بخاء معجمة ودال مكسورة وآخره جيم وهو غلط والصواب ما تقدم، وأصحابه، أي: أصحاب معاوية بن حديج، فاقتتلوا فانهزم محمد بن أبي بكر واختبأ في بيت مجنونة، فمر أصحاب معاوية بن حديج بالمجنونة، وهي قاعدة على الطريق وكان لها أخ في الحبس، فقالت: أتريد قتل أخي؟

قال: لا ما أقتله، قالت: فهذا محمد بن أبي بكر داخل بيتي، فأمر معاوية أصحابه، فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأتوا به معاوية، فقال له محمد: احفظني لأبي بكر فقال له: قتلت من قومي في قضية عثمان ثمانين رجلاً ،وأتركك وأنت صاحبه لا والله، فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين، وأمر معاوية أن يجر في الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لقتله، وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار. وقال غيره: بل وضعه حياً في جيفة حمار وأحرقه بالنار وكان سبب ذلك دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده في هودجها يوم وقعة الجمل، وهي لا تعرفه فظنته أجنبياً فقالت: من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله ﷺ أحرقه الله بالنار، فقال: يا أختاه قولي بنار الدينا، فقالت: بنار الدنيا، وقد تقدّم هذا في باب الجيم في الكلام على لفظ الجمل، ودفن في الموضع الذي قتل فيه، فلما كان بعد سنة من دفنه أتى غلامه وحفر قبره، فلم يجد فيه سوى الرأس، فأخرجه ودفنه في المسجد تحت المنارة، ويقال إنّ الرأس في القبلة، قال: وكانت عائشة رضي الله عنها قد أنفذت أخاها عبد الرحمٰن إلى عمرو بن العاص في شأن محمد فاعتذر بأنّ الأمر لمعاوية بن حديج، ولما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه ودخل به داره اجتمع رجال ونساء فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ بكبش فشوي، وبعث به إلى عائشة، وقالت: هكذا قد شوي أخوك، فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء، حتى ماتت. وقالت هند بنت شمر الحضرمية: رأيت نائلة امرأة عثمان بن عفان تقبل رجل معاوية بن حديج وتقول: بك أدركت ثأري ولما سمعت أمّه أسماء بنت عميس بقتله، كظمت الغيظ حتى شخبت ثدياها دماً. ووجد عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجداً عظيماً وقال: كان لي ربيباً وكنت أعده ولداً ولبنيّ أخاً، وذلك لأنّ علياً كان قد تزوّج أمّه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق ورباه كما تقدم، وذكر الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردي وغيره، أنّ سفيان بن سعيد الثوري أكل ليلة زائداً على عادته، فقال: إنّ الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله، ثم قام حتى أصبح، قال: وكان فتى يجالس الثوري ولا يتكلم، فأحب أن يعرف نطقه، فقال: يا فتى إن من كان قبلنا مروا على خيول سابقة وبقينا بعدهم على حمر دبرة، فقال الفتى: يا أبا عبد الله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم. وقال سفيان بن عيينة: دعانا الثوري ليلة فقدّم لنا تمراً ولبناً خاثراً فلما توسط الأكل، قال: قوموا فلنصل ركعتين شكراً لله تعالى، فقال ابن وكيع ـ وكان حاضراً: لو قدم لنا شيئاً من اللوزينج لقال: قوموا فلنصل التراويح، فتبسم سفيان. وقال سفيان الثوري: ما استودعت قلبي شيئاً فخانني، وقال له رجل: أوصني، فقال: اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها وللآخرة بقدر مقامك فيها والسلام. وقال له رجل: إني أريد الحج، فقال: لا تصحب من يتكرم عليك فإنك إن ساويته في النفقة أضر بك وان تفضل عليك استذلك، ودخل الثوري على المهدي يوماً فسلم عليه تسليم العامة، ولم يسلم بالخلافة، فأقبل عليه المهدي بوجه

طلق وقال: يا سفيان: تفر منا ههنا وههنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك وقد قدرنا عليك الآن أما تخشى أن نحكم فيك الآن بهوانا؟ فقال سفيان: أن تحكم فيَّ بحكم الآن يحكم فيك ملك عادل قادر يفرق بين الحق والباطل، فقال الربيع: يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ ائذن لي أن أضرب عنقه، فقال له المهدي: اسكت ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بهم ويسعدوا بنا، اكتبوا عهده على قضاء الكوفة بحيث أن لا يعترض عليه في حكم، فكتب عهده ودفع إليه فأخذه وخرج ورمى به في دجلة، وهرب فطلب في كل بلد، فلم يوجد. وتوفي بالبصرة متوارياً سنة إحدى وستين ومئة رحمه الله تعالى. وهو أحد الأئمة المجتهدين أجمع الناس على دينه وورعه وثقته.

ويروى أنّ أبا القاسم الجنيد رحمه الله تعالى كان يفتي على مذهبه وهو غلط، والصواب أنّ الجنيد كان شافعياً، وقد عده شيخ الإسلام تقي الدين السبكي في الأصحاب، وكذلك عده غيره وكان سفيان الثوري كوفياً، فإنّه سئل عن عثمان وعن علي رضي الله تعالى عنهما أيهما أفضل؟ فقال: أهل البصرة يقولون بتفضيل عثمان وأهل الكوفة يقولون بتفضيل علي، فقيل له: فما تقول أنت؟ قال: أنا رجل كوفي، يعني: أنّه يقول بتفضيل علي. وفي كتاب **«ابتلاء الأخيار»** أنّ عيسى عليه الصلاة والسلام لقي إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال، فسأله عن الأحمال، فقال: تجارة أطلب لها مشترين، قال: وما هي التجارة؟ قال أحدها: الجور، قال: ومن يشتريه؟ قال: السلاطين، والثاني الكبر، قال: ومن يشتريه؟ قال: الدهاقين، والثالث الحسد، قال: ومن يشتريه؟ قال العلماء: والرابع الخيانة، قال: ومن يشتريها؟ قال: عمال التجار والخامس الكيد، قال: ومن يشتريه؟ قال: النساء.

ومما يحكى: من كيد النساء ومكرهن ما روي في بعض التفاسير عن جعفر الصادق بن محمد الباقر أنّه قال: كان في بني إسرائيل رجل وكان له مع الله معاملة حسنة، وكان له زوجة، وكان ضنيناً بها وكانت من أجمل أهل زمانها مفرطة في الجمال والحسن، وكان يقفل عليها الباب، فنظرت يوماً شاباً فهويته وهويها، فعملت له مفتاحاً على باب دارها، وكان يدخل ويخرج ليلاً ونهاراً متى شاء، وزوجها لم يشعر بذلك، فبقيا على ذلك زمناً طويلاً، فقال لها زوجها يوماً وكان أعبد بني إسرائيل وأزهدهم: إنك قد تغيّرت علي ولم أعلم ما سببه وقد توسوس قلبي، وقد كان أخذها بكراً ثم قال لها: وأشتهي منك أن تحلفي لي أنّك لم تعرفي رجلاً غيري. وكان لبني إسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون عنده، وكان الجبل خارج المدينة، وكان عنده نهر يجري، وكان لا يحلف أحد عنده كاذباً إلا هلك، فقالت له: ويطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل، قال: نعم، قالت: متى شئت فعلت، فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب، فأخبرته بما جرى لها مع زوجها، وأنها تريد أن تحلف له عند الجبل، وقالت: ما يمكنني أن أحلف كاذبة، ولا أقول لزوجي ما أحلف، فبهت الشاب

وتحير، وقال: فما تصنعين، فقالت له: بكِّر غداً والبس ثوب مكار وخذ حماراً واجلس على باب المدينة، فإذا خرجنا فأنا آمره يكتري منك الحمار، فإذا اكتراه منك بادر واحملني وارفعني فوق الحمار حتى أحلف له وأنا صادقة أني ما مسني أحد غيرك وغير هذا المكاري، فقال: حباً وكرامة.

فلما جاء زوجها، قال لها: قومي بنا إلى الجبل لتحلفي به، فقالت: ما لي طاقة بالمشي، فقال: اخرجي فإن وجدت مكارياً اكتريت لك، فقامت ولم تلبس لباسها، فلما خرج العابد وزوجته رأت الشاب ينتظرها، فصاحت به يا مكاري أتكري حمارك إلى الجبل بنصف درهم؟ قال: نعم، ثم تقدّم ورفعها على الحمار فساروا حتى وصلوا إلى الجبل، فقالت للشاب: أنزلني عن الحمار حتى أصعد على الجبل فلما تقدّم الشاب إليها ألقت بنفسها إلى الأرض فانكشفت عورتها فشتمت الشاب فقال: والله ما لي ذنب، ثم مدت يدها إلى الجبل، فأمسكته وحلفت له أنّه لم يمسها أحد ولا نظر إنسان مثل نظرك إليَّ مذ عرفتك غيرك وغير هذا المكاري، فاضطرب الجبل اضطراباً شديداً وزال عن مكانه، وأنكرت بنو إسرائيل ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46] ويقرب من هذا ما روي عن وهب بن منبه أنّه كان في زمن بني إسرائيل في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام رجل اسمه شمشون، وكان من أهل قرية من قرى الروم، وكان قد هداه الله لرشده، وصار من الحواريين وكان أهله أصحاب أوثان يعبدونها، وكان منزله من القرية على أميال، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله حق جهاده، فيقتل ويسبي ويصيب المال، وكان ربما لقيهم بغير زاد، فإذا قاتلهم وعطش انفجر له من الحجر الذي في القرية فيشرب منه حتى يروى، وكان قد أعطي قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره، وكانوا لا يقدرون منه على شيء فتآمروا فيه، فقال بعضهم لبعض: إنّكم لن تقدروا على أذاه إلاّ من قبل زوجته، فدخلوا عليها وجعلوا لها جعلاً إن أوثقته، فقالت: نعم، أنا أوثقه لكم، فأعطوها حبلاً وثيقاً، وقالوا لها: إذا نام، فأوثقي يديه إلى عنقه، ثم ذهبوا، فجاء شمشون، ونام، فقامت إليه، فأوثقته كتافاً، وجعلت يديه إلى عنقه، فلما هب من نومه جذب يديه فوقع الحبل من عنقه، فقال لها: لم فعلت هذا؟ قالت: لأجرب قوتك ما رأيت مثلك قط، ثم أرسلت إليهم أني قد ربطته بالحبل فلم يغن شيئاً فأرسلوا إليها بجامعة من حديد، وقالوا لها: إذا نام فاجعليها في عنقه، فلما نام جعلتها في عنقه، فلما هب من نومه جذبها فتقطعت، فقال لها: لم فعلت هذا؟ قالت: لأجرب قوتك ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمشون، أما في الأرض شيء يغلبك؟ قال: الله عزّ وجلّ يغلبني ثم شيء واحد، قالت: ما هو؟ قال: ما أنا بمخبرك به، فلم تزل تخدعه وتمكر به وتتلطف له في السؤال، وكان ذا شعر كثير جداً، فقال: ويحك، إنّ أمي كانت جعلتني نذيراً فلا يغلبني شيء أبداً ولا يوثقني إلا شعري.

فتركته حتى نام، ثم قامت إليه فأوثقت يديه إلى عنقه بشعره، فأوثقه ذلك وبعثت إلى القوم، فجاؤوا وأخذوه فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه وفقأوا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهراني المدينة، وكانت المدينة ذات أساطين، وأشرف الملك لينظر ماذا يفعل به فدعا الله شمشون حين مثلوا به وأوقفوه أن يسلطه عليهم، فرد الله عليه بصره وما أصابوا من جسده، وأمره أن يأخذ بعمود من عمد المدينة الذي عليه الملك والناس، ففعل فوقعت المدينة، وهلك من فيها، وأرسل الله على زوجته صاعقة فأحرقتها، ونجّى الله تعالى شمشون بمنّه وفضله، انتهى.

وحكاياتهن في المكر والكيد لا تحصى، وحسبك أنّ الله تعالى استضعف كيد الشيطان فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76] واستعظم كيد النساء، فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 28].

وفي كتاب «**نزهة الأبصار في أخبار ملوك الأمصار**»، وهو كتاب عظيم المقدار ولا أعلم مصنفه: أنّ بعض الملوك مر بغلام وهو يسوق حماراً أغبر منبعث، وقد عنف عليه في السوق فقال: يا غلام ارفق به فقال الغلام: أيها الملك في الرفق به مضرة عليه، قال: وكيف ذلك؟ قال: يطول طريقه ويشتد جوعه، وفي العنف به إحسان إليه، قال: وكيف ذلك؟ قال: يخف حمله ويطول أكله فأعجب الملك بكلامه، وقال: قد أمرت لك بألف درهم، فقال: رزق مقدور وواهب مشكور، قال الملك: وقد أقرت بإثبات اسمك في حشمي قال: كفيت مؤنة ورزقت معونة، فقال له الملك: عظني فإني أراك حكيماً، فقال: أيها الملك إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب، وإذ هنأتك العافية فحدث نفسك بالبلاء، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية العمل، فاذكر الموت، وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها في الإساءة نصيباً، فأعجب الملك بكلامه وقال: لولا أنك حديث السن لاستوزرتك، فقال: لن يعدم الفضل من رزق العقل، قال: فهل تصلح لذلك؟ قال: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها فاستوزره، فوجده ذا رأي صائب وفهم ثاقب ومشورة تقع موقع التوفيق.

وفي هذا الكتاب دعابات: فمنها أنّ الرشيد خرج إلى الصيد، فانفرد عن عسكره والفضل بن الربيع خلفه، فإذا هو بشيخ كبير راكب على حمار فنظر إليه، فإذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه، فقال له الفضل: أين تريد؟ قال: حائطاً[1] لي، قال: هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك، فتذهب تلك الرطوبة؟ فقال: ما أحوجني إلى ذلك، فقال له: خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصره في قشرة جوزة، واكتحل به، فإنّه يذهب رطوبة عينيك، فاتكأ الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة، ثم قال: هذه أجرة لوصفك، وإن نفعنا الكحل زدناك، فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن دابته.

(١) الحائط: البستان.

ومنها أنّه حضر خياط لبعض الأمراء ليفصل له قباء، فأخذ يفصل والأمير ينظر إليه، فلم يتهيأ له أن يسرق شيئاً فضرط، فضحك الأمير حتى استلقى، فأخرج الخياط من القباء ما أراد، فجلس الأمير وقال: يا خياط ضرطة أخرى، فقال الخياط: لا لئلا يضيق القباء.

وفي كتاب «**نشوان المحاضرة**» قال ذو النون بن موسى: كنت غلاماً والمعتضد إذ ذاك بكور الأهواز، فخرجت يوماً من قرية يقال لها سانطف أريد عسكر مكرم ومعي حماران واحد راكبه والآخر عليه حمل من البطيخ، فمررت بعسكر المعتضد، وأنا لا أعلم من هو فأسرع إليّ جماعة منهم، فأخذ واحد منهم من الحمل ثلاث بطيخات أو أربعاً فخفت أن ينقص عن عدده فأتهم به، فبكيت وصحت والحمار يسير على المحجة والعسكر مجتاز، وإذا بكبكبة عظيمة يقدّمها رجل منفرد، فوقف وقال: ما لك يا غلام تبكي وتصيح؟ فعرفته الخبر فوقف ثم التفت إلى القوم، وقال إيه عليَّ بالرجل الساعة، قال: فجيء به في أسرع من طبق البصر حتى كأنّه كان وراء ظهره فقال: هو هذا يا غلام؟ قلت: نعم، فأمر به فضرب بالمقارع، وهو واقف وأنا راكب على حماري، والعسكر واقف، وجعل يقول له وهو يضرب: يا كلب، أما كان معك ثمن هذا البطيخ؟ أما قدرت أن تمنع نفسك منه؟ أهو مالك أو مال أبيك؟ أليس صاحبه أتعب نفسه وأجهدها في زرعه وسقيه وأداء خراجه؟ والمقارع تأخذه حتى ضرب مائة مقرعة، ثم أمر لي بأربعة دنانير وسار، وأخذ الجيش يشتموني، ويقولون: ضرب القائد الفلاني بسبب هذا مائة مقرعة! فسألت بعضهم فقال: هذا أمير المؤمنين المعتضد.

وفي كتاب «**الأذكياء**» لابن الجوزي عن الجاحظ أنّه قال: قال ثمامة بن أشرس: دخلت على صديق لي أعوده، وتركت حماري على الباب، ولم يكن معي غلام يحفظه، فلما خرجت إذا فوقه صبي يحفظه، فقلت: أركبت حماري بغير إذني؟ فقال: خفت أن يذهب فحفظته لك قلت: لو ذهب لكان أعجب إليّ من بقائه، فقال: إن كان هذا رأيك في الحمار فقدر أنّه ذهب وهبه لي واربح شكري، فلم أدر ما أقول. وأحسن من هذا الذكاء ما رواه ابن الجوزي أيضاً، قال: ركب المعتصم إلى خاقان يعوده والفتح بن خاقان صبي يومئذٍ فقال له المعتصم: أيهما أحسن: دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ قال: إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن! فأراه المعتصم فصّاً في يده وقال: يا فتح هل رأيت أحسن من هذا الفص، قال: نعم، اليد التي هو فيها.

ويقرب من هذا وهو من الجواب المسكت ما ذكره الإمام ابن الجوزي، قال: دخل شاب على المنصور، فسأله عن وفاة أبيه، فقال: مات رحمه الله يوم كذا وكذا، وكان مرضه رحمه الله يوم كذا خلف رحمه الله كذا، فانتهره الربيع، وقال: أما تستحي بين يدي أمير المؤمنين تقول هذا؟ فقال الشاب: لا ألومك على انتهاري لأنّك لم تعرف حلاوة الآباء، وكان الربيع لقيطاً، فما أعلم المنصور ضحك كضحكه يومئذٍ، انتهى.

وفي «**تاريخ ابن خلكان**» في ترجمة الحاكم العبيدي أنّ الحاكم بأمر الله كان له حمار أشهب يدعى بقمر يركبه وكان يحب الانفراد والركوب وحده، فخرج راكباً حماره ليلة الاثنين سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة إلى ظاهر مصر، وطاف ليلته كلها وأصبح متوجهاً إلى شرقي حلوان، ومعه راكبان، فأعاد أحدهما، ثم أعاد الآخر وبقي الناس يخرجون يلتمسون رجوعه، ومعهم دواب الموكب إلى يوم الخميس، سلخ الشهر المذكور، ثم خرج ثاني العقدة جماعة من الموالي والأتراك، فأمعنوا في طلبه وفي الدخول في الجبل فرأوا حماره الأشهب الذي كان راكباً عليه وهو على قرنة الجبل، وقد ضربت يداه ورجلاه بسيف وعليه سرجه ولجامه، فتبعوا الأثر، فإذا أثر حمار وأثر راجل خلفه وراجل قدامه، فقصوا الأثر إلى البركة التي في شرقي حلوان فنزل فيها رجل فوجد فيها ثيابه، وهي سبع جباب، ووجدت مزرورة لم تحل أزرارها وفيها آثار السكاكين، فحملت إلى القصر، ولم يشكوا في قتله غير أنّ جماعة من المتغالين في حبهم له السخيفي العقل يدعون حياته، وأنه سيظهر ويحلفون بغيبة الحاكم، ويقال: إن أخته دست عليه من قتله وكان الحاكم جواداً بالمال سفاكاً للدماء، وكانت سيرته عجباً يخترع كل يوم حكماً يحمل الناس عليه، فمن ذلك أنّه أمر الناس سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بكتب سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم في حيطان المساجد والقياسر والشوارع، وكتب إلى سائر الديار المصرية يأمرهم بالسب ثم أمر بقطع ذلك سنة سبع وتسعين، وأمر بضرب من يسب الصحابة وتأديبه، وأمر بقتل الكلاب فلم يركلب في الأسواق والأزقّة إلا قتل ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا، ثم نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره، وجمع جملة كثيرة، وأحرقت وأنفقوا على إحراقها خمسمائة دينار، ثم نهى عن بيع العنب أصلاً وألزم اليهود والنصارى أنّ يتميّزوا في لباسهم عن المسلمين في الحمامات وخارجها، ثم أفرد حماماً لليهود وحماماً للنصارى، وألزمهم أن لا يركبوا شيئاً من المراكب المحلاة وأن تكون ركبهم من الخشب، وأن لا يستخدموا أحداً من المسلمين ولا يركبوا حمار المكاري المسلم ولا سفينة نواتيها مسلمون، وأمر بهدم القمامة في سنة ثمان وأربعمائة، وجميع الكنائس بالديار المصرية، ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الأحباس لجماعة من المسلمين، وأمر أن لا يتكلم أحد في صناعة النجوم وأن ينفى المنجمون من البلاد وكذلك أصحاب الغناء، ومنع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً، ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف للنساء، ولم تزل النساء ممنوعات من الخروج إلى أيام ولده الظاهر مدة سبع سنين، ثم أمر ببناء ما كان هدم من الكنائس ورد ما كان قد أخذ من أحباسها. وحلوان مدينة كثيرة النزه فوق مصر بخمسة أميال كان يسكنها عبد العزيز بن مروان، وبها توفي ولد ولده عمر بين عبد العزيز، انتهى.

قلت: وفي قوله: ليلة الاثنين سابع عشر وقوله: إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور نظر ظاهر، والله أعلم. وفي رسالة القشيري في باب كرامات الأولياء: سمعت أبا حاتم السجستاني

يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا سليمان الخواص يقول: كنت راكباً حماراً يوماً، وكان الذباب يؤذيه فيطأطىء رأسه وكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي، فرفع الحمار رأسه إليّ وقال: اضرب فإنّك هكذا على رأسك تُضرب، قال الحسين: فقلت لأبي سليمان: لك وقع هذا؟ قال: نعم، كما تسمعني.

تذنيب: روى البيهقي في «**الشعب**» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنّه قال: كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبون الحمر، ويلبسون الصوف، ويحلبون الشاة، وكان للنبي ﷺ حمار اسمه عفير، يعني: بضم العين المهملة، وضبطه القاضي عياض بالغين المعجمة وقد اتفقوا على تغليطه، أهداه له المقوقس، وكان فروة بن عمرو الجذامي أهدى له حماراً يقال له: «يعفور» مأخوذان من العفرة وهو لون التراب فنفق يعفور في منصرف النبي ﷺ من حجة الوداع. وذكر السهيلي أن يعفوراً طرح نفسه في بئر يوم موت النبي ﷺ. وذكر ابن عساكر في «**تاريخه**» بسنده إلى أبي منصور قال: لما فتح النبي ﷺ خيبر أصاب حماراً أسود، فكلم رسول الله ﷺ الحمار فقال له: «ما اسمك؟» قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً لا يركبها إلاّ نبي، وقد كنت أتوقعك لتركبني، ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت قبلك عند رجل يهودي وكنت أتعثر به عمداً، كان يجيع بطني ويركب ظهري، فقال له النبي ﷺ: «**فأنت يعفور، يا يعفور تشتهي الإناث**»، قال: لا، فكان النبي ﷺ يركبه في حاجته، وكان يبعثه خلف من شاء من أصحابه، فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه، فيعلم أنّ رسول الله ﷺ أرسله إليه، فيأتي النبي ﷺ، فلمّا قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان، فتردى فيها جزعاً على رسول الله ﷺ فكانت قبره، قال الإمام الحافظ أبو موسى هذا حديث منكر جداً إسناداً ومتناً، لا يحل لأحد أن يرويه إلاّ مع كلامي عليه، وقد ذكره السهيلي في «**التعريف والإعلام في الكلام**» على قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: 8]، وفي «**كامل ابن عدي**» في ترجمة أحمد بن بشير وفي «**شعب الإيمان**» للبيهقي عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعبَّد رجل في صومعه، فأمطرت السماء وأعشبت الأرض، فرأى حماراً له يرعى، فقال: يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري، فبلغ ذلك نبياً من أنبياء بني إسرائيل، فأراد أن يدعو عليه، فأوحى الله إليه: إنّما أُجازي عبادي على قدر عقولهم**»، وهو كذلك في «**الحلية**» لأبي نُعيم في ترجمة زيد بن أسلم. وروى ابن أبي شيبة في «**مصنفه**» والإمام أحمد في «**الزهد**»؛ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قيل لعيسى بن مريم عليهما السلام: يا رسول الله لو اتخذت لك حماراً تركبه لحاجتك؟ فقال: أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني عنه.

الحكم: يحرم أكله عند أكثر أهل العلم، وإنّما رويت الرخصة فيه عن ابن عباس رواه

عنه أبو داود في «**سننه**»، وقال الإمام أحمد: كره أكله خمسة عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ وادّعى ابن عبد البر الإجماع الآن على تحريمه، قال: وقد روي عن غالب بن أبجر قال: أصابتنا سنة فشكونا ذلك لرسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله لم يكن عندي ما أطعم أهلي إلاّ سمان حمر، وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية، فقال: «**أطعم أهلك من سمين حُمُرك، فإنّما حرمتها من أجل جوال القرية**»، ولم يرو عن غالب بن أبجر سوى هذا الحديث، ولنا ما روى جابر وغيره أنّ النبي ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل متفق عليه، وحديث غالب رواه أبو داود واتفق الحفاظ على تضعيفه، ولو بلغ ابن عباس أحاديث النهي الصحيحة الصريحة في تحريمه لم يصر إلى غيره، ولو صح حديث غالب لحمل على الأكل منها حال الاضطرار، وأيضاً هي قضية عين لا عموم لها ولا حجة فيها، واختلف أصحابنا في علّة تحريمها: هل هو لاستخباث العرب لها أو للنص على وجهين حكاهما الروياني وغيره. وأفاد الحافظ المنذري أنّ تحريم لحوم الحمر نسخ مرتين، ونسخت القبلة مرتين، ونسخ نكاح المتعة مرتين، واختلف السلف في لبنها فحرمه أكثر العلماء، ورخص فيه عطاء وطاوس والزهري، والأوّل أصح، لأنّ حكم اللبن حكم اللحم. ويحرم ضربه وضرب غيره من الحيوانات المحترمة بالإجماع. روى البخاري أنّ النبي ﷺ مر بحمار قد وسم وجهه، فقال: «**لعن الله من فعل هذا**» وفي رواية «**لعن الله الذي وسم هذا**».

الأمثال: قالوا: عشَّر تعشير الحمار، وقال الجوهري: تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات في طلق واحد، قال الشاعر:

لعمري لئن عشَّرت من خيفة الردى نُهاق حمارٍ إنني لجزوعُ

وذلك أنّهم كانوا إذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوه، وكانوا يزعمون أنّ ذلك ينفعهم وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: 5]، أي: يثقله حملها ولا ينفعه علمها وكل من يعلم ولم يعمل، فهذا مثله، وفي الحديث: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار في الرحا، فيطيف به أهل النار فيقولون مالك، فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهى عن الشر وآتيه**»، والأقتاب: الأمعاء واحدها قتب بالكسر، وقالت العرب: هم يتهارجون تهارج الحمر، أي: يتسافدون. والهرج: كثرة النكاح، يقال: بات يهرجها ليله جميعاً. وروى الحافظ أبو نعيم عن أبي الزاهرية عن كعب الأحبار قال: يمكث الناس بعد يأجوج ومأجوج في الرخاء والخصب والدعة عشر سنين، حتى إنّ الرجلين ليحملان الرمانة الواحدة بينهما، ويحملان العنقود الواحد من العنب فيمكثون على ذلك عشر سنين، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فلا تدع مؤمنة ولا مؤمناً إلاّ قبضت روحه، ثم يبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر في المروج حتى يأتي أمر الله والساعة، وهم على ذلك. وقالوا: بال الحمار،

فاستبال أحمرة، أي: حملهن على البول، يضرب في تعاون القوم على ما يكره، وقالوا: اتخذ فلان حماراً لحاجات، يضرب للذي يمتهن في الأمور. وقالوا: تركته جوف حمار، أي: لا خير فيه، وقالوا: أصبر من حمار، وقالوا: شر المال ما لا يذكى ولا يزكى، أشاروا بذلك إليه، وقالوا: ما بقي منه إلاّ قدر ظمء حمار، لأنّه أقصر الحيوان ظمأ، قال الجوهري: في مادة عشا، قال الشاعر:

غدونا غدوةً سحراً بليل عشاءَ بعد ما انتصفَ النهارُ
قصدناها حماراً ذا قرون أكلنا اللحم وانفلت الحمارُ

وفي معنى هذا البيت وجهان، أحدهما: إنا أتعبناه، حتى أكلنا لحمه لشدة الإضرار به من العدو، ثم انفلت، والثاني: إنا ذبحناه فأكلناه أكلاً لم يبق منه شيء، فكأنّه انفلت، وقوله: ذا قرون، أي: مسناً قد أتت عليه قرون من الدهر، وقالوا: أذل من حمار مقيد، قال الشاعر:

وما يقيمُ بدارِ الذل يعرفها إلاّ الأذلان: عَيْرُ الحيِّ والوتِدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمتِهِ وذا يُشَجُّ فلا يرثي له أحدُ

الخواص: من سقي من وسخ أذنه في شراب أو غيره سَبَتَ[1] ونام، ولم يعقل أصلاً، ومن نزع شعرة من ذنبه عند نزوه وربطها على فخذه أنعظ وهيج الباه، وإذا ربط حجر في ذنبه لم ينهق، وكذا إذا طليت استه بدهن، وقال الإمام الفخر الرازي وصاحب «**الحاوي**»: إذا طبخ لحم الحمار الأهليّ وقعد في مائه من به كزاز نفعه، وإذا اتخذ من حافره خاتم ولبسه المصروع لم يُصرع، وسرجينه وسرجين الخيل إذا أحرقا أو لم يحرقا، وخلطا بخل قطعا سيلان الدم، وإذا علق جلد جبهته على الصبيان منعهم من الفزع، وإذا رش على زبله خل وشم قطع الرعاف، وقال صاحب الفلاحة: إذا ركب الملسوع بالعقرب حماراً، وجعل وجهه إلى ذنبه صار الوجع إلى الحمار وبرىء الراكب، وكذلك إن تقدّم الملدوغ إلى أذن الحمار، وقال: إني لدغت بعقرب في المكان الفلاني، ذهب الوجع وإن ركبه مقلوباً كما تقدّم كان أقوى فعلاً. ومخه إذا طلي به الرأس مع الزيت طول الشعر. وكبده إذا أكلت مشوية على الريق منقوعة في الخل نفعت من الصرع، وأمن آكلها من الصرع. ولبن الحمارة إذا صُمد به الذكر أنعظ ونهيق الحمار يضر بالكلب، حتى إنه ربما عوى من كثرة ما يؤلمه.

التعبير: الحمار في المنام جَدّ الإنسان وسعده وربما دلّ على غلام أو ولد أو خير وربما دلّ على السفر أو العلم، لقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: 5]، وربما دلّ على المعيشة لقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 259]، وربما دلّ الحمار على العالم المحصل أو اليهود، لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ

(١) سَبَتَ: استراح.

يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: 5] الآية وربما دل الحمار على ما يوطأ فيه كالوطاء والزربول وما أشبه ذلك، وظهور حمار عُزير في المنام ظهور آية، وربما دلت رؤيته على الخلاص من الشدائد، وعلى الرجوع إلى المناصب السنية أو المنازعة في الدين، والحمير والبغال ملكها في المنام أو ركوبها دليل على الزينة بالمال، أو الولد، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: 8] وربما دل ركوب الحمار على النجاة من الهم، وموت الحمار وهزاله فقر صاحبه؛ وقيل موته موت صاحبه، والنزول عن ظهره بلا نيّة نزول فقر وبيعه فقر أيضاً، ومن ذبح حماره ليأكل لحمه، نال سعة في رزقه، وإن ذبحه لغير الأكل فإنّه يفسد معاشه، ومن رأى ذنب حماره طويلاً وافراً دل على بقاء دولته، أو زيادة جاهه، والحمار الذي له سرج يفسر بالولد والعزّ فمن رأى أنّه لا يحسن ركوب حماره، فإنّه يتحلى بما ليس من أهله والمهازيل والضعاف من الحمر مال في زيادة، والسمان منها مال قد انتهى. والحمار المصري وكيل، وهو نعم الوكيل، والحمارة امرأة معينة على المعيشة كثيرة الخير ذات نسل وربح متواتر فمن ركب حمارة في منامه وخلفها جحش، فإنّه يتزوّج امرأة لها ولد، ومن رأى حمارة لا تمشي إلاّ بالصوت، فإنّه لا يطعم إلا بالدعاء ولفظ الأتان من الإتيان، وربما دلّ صياحها على الشر والإنكاد، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19] أو ظهور عارض من الجان فإنّ نهيق الحمار يدلّ على رؤية الشيطان لأنّ السنة وردت بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند سماع صوته؛ وقيل: سماع صوته دعاء على الظلمة، ومن رأى حماراً موقوراً دخل منزله، فإنّه خير يسوقه الله إليه على قدر جوهر ذلك الحمل، ولبن الحمارة خصب في تلك السنة، وربما دلّ الشرب منه على مرض شاربه، ثم ينجو منه، ولحم الحمار مال لمن أكله، وحمار المرأة زوجها، فإن مات طلقها أو مات زوجها، ومن صارع حماراً مات بعض أقاربه، ومن رأى حماره صار فرساً نال خيراً من السلطان، وإن صار بغلاً نال خيراً من سفر، ومن حمل حماره في المنام نال خيراً وقوّة في السعادة حتى يتعجب منه، ومن رأى له حافراً فذلك قوّة في المال والتصرف، وكذلك الخف ومن سمع صوت الحوافر من غير أن يرى شيئاً من البهائم فإنّها أمطار، ويعبّر الحمار برجل جاهل، وربما دلت رؤيته على الولد من الزنا، ومن رأى حماراً نزل من السماء قدس ذكره في دبره نال مالاً عظيماً يستغني به لاسيما إذا كان الرائي ملكاً، والحمار أسوداً وأدهم، والله أعلم.

الحمار الوحشي: ويسمّى الفِراء، ويقال: حمار وحش وحمار وحشي، وهو العير، وربما أطلق العير على الأهلي أيضاً، والحمار الوحشي شديد الغيرة، فلذلك

يحمي عانته الدهر كلّه، ومن عجيب أمره أنّ الأنثى من هذا النوع إذا ولدت ذكراً كدم الفحل خصيتيه، فالأنثى تعمل الحيلة في الهرب منه حتى يسلم، وربما كسرت رجل التولب كي لا يسعى، ولا تزال ترضعه إلى أن يكبر، فيسلم من أبيه، وأشار إلى ذلك الحريري بقوله في المقامة الثالثة عشرة:

يـا رازقَ الـنـعـابِ فـي عـشـه وجابرَ العظم الكثير المهيضْ
أتـحْ لـنـا الـلّـهـم مـن عـرضـه مـن دنـس الـذم نـقـي رحـيـضْ

وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في باب النون في النعاب، ويقال: إنّ الحمار الوحشي يعمر مائتي سنة وأكثر.

وذكر ابن خلكان في ترجمة يزيد بن زياد أنّ بعض الجند حدث أنّهم نزلوا على جرود، فاصطادوا من حمر الوحش شيئاً كثيراً وذبحوا منها حماراً وطبخوا لحمه الطبخ المعتاد، فلم ينضج فزيد في الإيقاد عليه يوماً كاملاً، فلم ينضج، فقام بعض الجند وأخذ رأسه وجعل يقلبه، فرأى على أذنه وسماً فقرأه. فإذا هو بهرام جور وموضع الوسم ظاهر أبيض، وهو بالقلم الكوفي. قال ابن خلكان: وأحضروا الأذن عندي فوجدت الاسم ظاهراً، وبهرام جور كان من ملوك الفرس قبل مبعث النبي ﷺ بزمان طويل، وكان من عادته إذا أخذ الصيد وسمه وأطلقه والله تعالى يعلم كم كان عمر الحمار قبل الوسم، وهذا الحمار لعله عاش أكثر من مئتي سنة. وجرود قرية من قرى دمشق وبأرضها من حمر الوحش شيء كثير يجاوز الحصر، وفي أرض جرود الجبل المدخن وإنّما سمّي هذا الجبل بالمدخن لأنّه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب؛ وقيل إنّ الحمار يعيش أكثر من ثمانمائة سنة، وألوان حمر الوحش مختلفة، والأخدرية أطولها عمراً، وأحسنها شكلاً، وهي منسوبة إلى أخدر فحل كان لكسرى أردشير، فتوحش واجتمع بعانات فضرب فيها فالمتولد منها يقال له: أخدري. وقال الجاحظ: أعمار حمر الوحش تزيد على أعمار الحمر الأهلية، ولا نعرف حماراً أهلياً عاش أكثر من حمار أبي سيارة، وهو عميلة بن خالد العدواني كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى منى أربعين سنة، وكان يقول:

لا هـمَّ مـا لـي فـي الـحـمـار الأسـودْ أصـبـحـت بـين الـعـالـمـين أُحْـمَـدْ
هـلا يـكـاد ذو الـحـمـار الـجـلـعـدْ يـرقـى أبـا سـيـارة الـمـحـسَّـدْ
مـن شـر كـل حـاسـد إذا حـسـدْ ومـن أذاة الـنـافـثـات فـي الـعـقـدْ

اللّهم حبب بين نسائناوبغض بين رعائناواجعل المال في سمحائنا.

وفيه يقول الشاعر:

خـلـوا الـطـريـقَ عـن أبـي سـيـاره وعـن مـوالـيـه بـنـي فـزاره

حتى يجيزَ سالماً حماره مستقبل القبلةِ يدعو جاره
فقد أجار اللهُ مَنْ أجَاره

ولذلك قيل: أصح من حمار أبي سيارة. وروى ابن أبي شيبة وابن عبد البر من طريفه من حديث أبي فاطمة الليثي ويقال الأزدي ويقال الدوسي أنّه قال: كنا جالسين عند رسول الله ﷺ فقال: «**من أحب أن يصح فلا يسقم؟**» فابتدرناها فقلنا: نحن يا رسول الله، فقال: «**أتحبون أن تكونوا كالحمر الصالة**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاء وأصحاب كفارات فوالذي نفس أبي القاسم بيده إنّ الله ليبتلي المؤمن بالبلاء فما يبتليه إلا لكرامته عليه لأنّ الله قد أنزل عبده منزلة لم يبلغها بشيء من عمله دون أن ينزل به من البلاء ما لا يبلغ تلك المنزلة إلاّ به**». وكذا رواه البيهقي أيضاً في «**الشعب**» وقال: سألت عنه بعض أهل الأدب فزعم أنّه أراد به حمر الوحش وقال ابن الأثير في «**نهاية الغريب**» قوله: «**أتحبون أن تكونوا كالحمر الصالة**»؟ قال أبو أحمد العسكري: هو بالصاد غير المعجمة، ورواه أيضاً بالضاد المعجمة، وهو خطأ يقال للحمار الوحشي الحار الصوت، صال وصلصال، كأنّه يريد الصحيحة الأجساد والشديدة الأصوات لقوّتها ونشاطها.

الحكم: يحل أكله بالإجماع وفي «**الصحيحين**» وغيرهما أنّ النبي ﷺ قال: «**إنا لم نرده عليك إلاّ أننا - رم**»، قال الشافعي: ولو توحش الحمار الأهلي حرم أكله، ولو استأهل الوحشي لم يحرم، ولا نعلم في حل الوحشي خلافاً إلا ما روي عن مطرف أنّه قال: إذا أنسر واعتلف صار كالأهلي، وأهل العلم قاطبة على خلاف قوله، ولا يحل الحمار المتولد بين الأهلي والوحشي، لأنّ الولد يتبع خير الأبوين في الأطعمة، حتى يقرض أحدهما غير مأكول كما يتبع أخسهما في النجاسة، حتى يجب الغسل من ولوغه وسائر أجزائه سبعاً إذا تولد بين كلب وذئب، وكما يتبع الأخس في الأنكحة حتى إذا تولد بين كتابي ووثني لم تحل مناكحته، وقد خالفوا هذا الأصل في باب الجزية فقالوا: يعقد للمتولد بين كتابي ووثني في الديات، ألحقوه بأكثرهما دية وهو الأصح المنصوص؛ وقيل: يتبع أقلهما دية؛ وقيل: يعتبر بالأب وهذه الأقوال حكاها الرافعي في باب الغرة. وفي الحج جعلوه تابعاً للأغلظ تكليفاً، حتى لو قتل متولداً بين ظبي وشاة وجب عليه الجزاء وعكسوا ذلك في الزكاة، فلم يوجبوها في المتولد بين الأهلي والوحشي، وفي إيجابها في المتولد بين أنسيين كبقرة وجاموس نظر، وجعلوه تابعاً لأشرفهما ديناً حتى لو كان أحد الأبوين مسلماً عند العلوق أو أسلم قبل بلوغه حكم بإسلام الصغير تبعاً وجعلوه تابعاً للأم في الرق والحرية، أعني ما دام حملاً إلا في المستولدة والمغرور بحريتها، وجعلوه تابعاً للأب في النسب مطلقاً، لأنّ النسب يعتبر بالآباء دون الأمّهات، واستثنوا من ذلك أولاد بنات رسول الله ﷺ، فإنّهم ينسبون إليه دون أولاد بنات غيره وهذا من خصائصه ﷺ، وجعلوا ولد الزنا مقطوع النسب عن أبيه والمنفي ليس كذلك، لأنّه لو استلحقه

لحقه، ولم يتعرضوا للتبعية في بابي الأضحية والعقيقة، والاحتياط اعتبار أكثر السنين فيه حتى لو تولّد بين ضأن ومعز اشترط لإجزائه في الأضحية طعنه في السنة الثالثة اعتباراً بأكثر الأبوين سناً وهو المعز، ولم يتعرضوا أيضاً له في الربويات، وفائدته أنّه هل يجعل جنساً برأسه حتى يباع لحمه بلحم أي الأبوين كان مفاضلة أو يجعل كالجنس الواحد احتياطاً فيحرم التفاضل، وهذا هو الأقرب اعتباراً لضيق باب الربا، ولم يتعرضوا له أيضاً في السلم والقرض حتى لو أقرضه حيواناً متولداً بين حيوانين أو أسلم إليه في لحمه أو لحم ضأن أو معز، فأتاه بلحم متولد بين ضأن ومعز، فالمتجه عدم جواز قبوله لأنّه نوع آخر والاستبدال عن النوع بنوع آخر لا يجوز على الصحيح، ولم يتعرضوا له أيضاً في الشركة والوكالة والقراض كل ذلك لندوره، والمتجه المنع في الجميع لأنّ هذه العقود إنّما تصح فيما يعم وجوده ولو أوصى لرجل بشاة، فأعطاه الوارث متولداً بين ضأن ومعز لم يجبر على القبول، لأنّ الوصية إنّما تحمل على المتعارف، والله تعالى أعلم.

الأمثال: قالوا: فلان أكفر من حمار، وهو رجل من عاد كان يقال له حمار بن مويلع؛ وقيل: هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي كان مسلماً وكان له وادٍ طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب أخصب منه، وفيه من كل الثمار، فخرج بنوه يوماً يتصيدون، فأصابتهم صاعقة، فهلكوا، فكفر، وقال: لا أعبد من فعل هذا ببنيَّ، ودعا قومه إلى الكفر، فمن عصاه قتله، فأهلكه الله وأخرب واديه، فضربت العرب به المثل في الكفر، وقال الشاعر:

ألم تر أنّ حارثةَ بن بدرٍ يصلّي وهو أكفرُ من حمارِ؟!

الخواص: قال ابن وحشية وابن السويدي وغيرهما: النظر إلى أعين الحمر الوحشية يديم صحة العين، ويمنع نزول الماء إليها بخاصية عجيبة أودعها الله فيها، والاكتحال بمرارتها يحد البصر ويزيل ظلمته ويمنع من ابتداء نزول الماء في العين، وأكل سمين لحمها ينفع من مرض المفاصل ويزيله، ولحمها أيضاً ينفع من النقرس نفعاً بيناً، وشحمها إذا طلي به الكلف أزاله، ومرارتها تنفع من داء الثعلب طلاءً، وتنفع من البول على الفراش أكلاً، ومخها يسخن بدهن الزنبق، ويدهن به البهق يزول بإذن الله تعالى.

التعبير: الحمار الوحشي في المنام يدلُّ على الزوجة أو الولد من ذي الجفاء والقسوة أو من أرباب البوادي، فاعتبر ذلك وأعط الرائي حقه، ومن رأى أنّه ركب حماراً وحشياً فإنّه يدلّ على معصية، ومن رأى أنّه ركبه وسقط عنه، فليحذر من درك يناله في معصية، ومن شرب من لبن حمارة وحش نال نسكاً في دينه، ومن رأى أنّه حوى شيئاً من لحوم حمر الوحش أو ملكها نال عزاً وغنيمة ومالاً. والحمار الأهلي إذا استوحش في المنام فهو ضر وشر، والحمار الوحشي في المنام إذا أنس فهو نفع وخير.

حمارقبان: قال النووي في «**التحرير**» هو فعلان من قب لأنّه لا ينصرف في معرفة ولا نكرة. وقال الجوهري: هي دويبة وقبان فعلان من قبلان العرب لا تصرف وهو معرفة عندهم ولو كان فعالاً لصرفته تقول: رأيت قطيعاً من حمر قبان غير منصرف. قال الشاعر:

يا عجباً لقد رأيت عجباَ حمارَ قبَّانٍ يسوقُ أرنبَا

خاطبها يمنعها أن تذهبَا فقالت: اردفني، فقال: مرحَبا

وقد ذكر ابن مالك وغيره من الصرفيين: أنّ كل اسم يكون في آخره نون بعد ألف بينها وبين فاء الكلمة مشدد، فهو محتمل لأصالة النونات وزيادة أحد المثلين وبالعكس، ومثلوا ذلك بحسان ودكان وتبان وريان ونحوها، فقالوا: حسان إن أخذ من الحسن فنونه أصلية وإحدى السينين زائدة وإن أخذ من الحس فنونه زائدة مع الألف ووزنه على الأوّل فعال وعلى الثاني فعلان، ويمنع الصرف على الثاني لزيادة الألف والنون دون الأوّل، وتبان أن يأخذ من التبن فنونه أصلية وإن أخذ من التب وهو الخسران فنونه زائدة مع الألف، فيمنع الصرف إذا عرف هذا فقبان يجوز أن يكون مأخوذاً من القب وهو الضمور، والأقب ضامر البطن كما قال الجوهري: والخيل القب الضوامر، وقد أنشد الجاحظ يصف نسوة:

يمشين مشيَ قطا البطاحِ تأوّداً قُبَّ البطونِ رواجحَ الأكفالِ

فحمار قبان يجوز أن يكون مأخوذاً من هذا لضمور بطنه فإنّه دويبة مستديرة بقدر الدينار ضامرة البطن متولدة من الأماكن الندية على ظهرها شبه المجن، مرتفعة الظهر، كأنّ ظهرها قبة إذا مشت لا يرى منها سوى أطراف رجليها ورأسها لا يرى عند المشي إلاّ أن تقلب على ظهرها، لأنّ أمام وجهها حاجزاً مستديراً، وهي أقل سواداً من الخنفساء وأصغر منها ولها ستة أرجل تألف المواضع السبخة في الغالب، ومواضع الزبل، ويجوز أن يكون لفظ قبان مأخوذاً من قبن في الأرض قبوناً إذا ذهب، قال صاحب «**المفردات**»: وهذه الدابة هي التي تسمّى هدبة وهي كثيرة الأرجل تستدير عندما تلمس، ومن حمارقبان نوع ضامر البطن غير مستدير والناس يسمونه أبا شحيمة يألف المواضع الندية، والظاهر أنّه صغار حمارقبان، وأنّه بعد يأخذ في الكبر، وأهل اليمن يطلقونه على دويبة فوق الجرادة من نوع الفراش والاشتقاق لا يساعده، ويجوز اشتقاقه من قبن المتاع إذا وزنه، فعلى هذا ينصرف لأصالة النون. والقبان الذي يوزن به. قال الشعبي: معناه العدل بالرومية والاشتقاق الأوّل أظهر فلذلك التزمت العرب منعه من الصرف.

الحكم: يحرم أكلها لاستخبائها.

الأمثال: قالوا: أذل من حمار قبان.

الخواص: إذا شرب حمارقبان مع شراب نفع من عسر البول ومن اليرقان، وقال بعضهم: إذا لُفَّ حمارقبان في خرقه وعلّق على من به حمى مثلثة قلعها أصلاً.

التعبير: رؤية حمارقبان في النوم تدل على حقارة الهمة ومخالطة السفل ومكاثرتهم. والله أعلم.

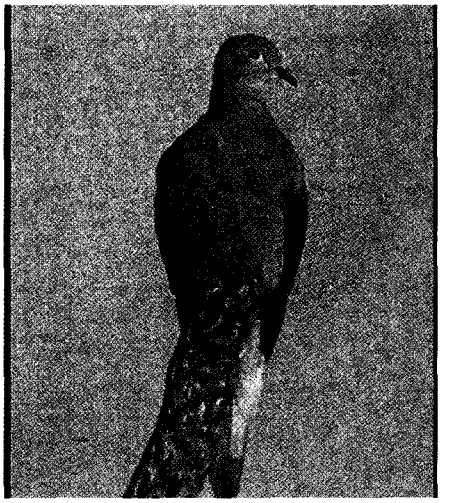

الحمام: قال الجوهري: هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقماري، وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى، لأنّ الهاء إنّما دخلته على أنّه واحد من جنس لا للتأنيث، وعند العامة أنّها الدواجن فقط الواحد حمامة، وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات:

وما هاجَ هذا الشوقَ إلاّ حمامةٌ
دعتْ ساقَ حُرٍّ ترحةً فترنَّما

والحمامة هنا القمرية، وقال الأصمعي في قول النابغة:

واحكمْ كحكمِ فتاةِ الحيِ إذ نظرتْ إلى حمامِ سراع واردِ الثمَدِ
قالت: ألا ليتما هذا الحمامَ لنا إلى حمامتنا أو نصفَه فقدِ
فحَسَّبوه، فألفوه كما زعمتْ تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزدِ

هذه زرقاء اليمامة، نظرت إلى قطار وارد في مضيق الجبل فقالت: يا ليت هذا القطا لنا، ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا فيكمل لنا مئة قطاة، فاتبعت وعدت على الماء، فإذا هي ست وستون قال أبو عبيدة رأته من مسيرة ثلاثة أيام وأرادت بالحمام القطا، فقالت ذلك، انتهى. وقال الأموي: الدواجن التي تستفرخ في البيوت تسمّى حماماً أيضاً. وأنشد للعجاج:

إني وربِّ البلد المحرم والقاطنات البيت عند زمزمِ
قواطناً مكّة من وُرْق الحُمِي

يريد الحمام، وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات، وربما قالوا حمام للمفرد، قال جِران العود:

وذكَّرني الصبا بعد التنائي حمامة أيكةٍ تدعو حَماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب «**الطير الكبير**» أنّ اليمام هو الحمام البري الواحدة يمامة وهو ضروب، والفرق بين الحمام الذي عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلي ظهرها فيه بياض وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه. انتهى.

ونقل النووي في «**التحرير**» عن الأصمعي أنّ كل ذات طوق فهي حمام، والمراد بالطوق

الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها، وكان الكسائي يقول: الحمام هو البري، واليمام الذي يألف البيوت والصواب ما قاله الأصمعي. ونقل الأزهري عن الشافعي أنّ الحمام كان ما عب وهدر وإن تفرّقت أسماؤه، والعب بالعين المهملة: شدة جرع الماء من غير تنفس، قال ابن سيده: يقال في الطائر عب ولا يقال شرب، والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له. قال الرافعي: والأشبه أن ما عب هدر، قال: فلو اقتصروا في تفسير الحمام على العب لكفاهم، ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في «**عيون المسائل**»: وما عب من الماء عباً، فهو حمام وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام. اهـ. وفيما قاله الرافعي نظر، لأنّه لا يلزم من العب الهدير، قال الشاعر:

على حُويضي نغر مُكِبُّ إذا فترتُ فترة يَعُبُّ
وحُمَّراتٌ شربهن غِبُّ

وصف النغر بالعب مع أنّه لا يهدر، وإلاّ كان حماماً النغر نوع من العصفور، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في باب النون، إذا علمت ذلك انتظم لك كلام الشافعي وأهل اللغة أنّ الحمام يقع على الذي يألّف البيوت ويستفرخ فيها وعلى اليمام والقمري، وساق حر وهو ذكر القمري كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين، والفواخت والدبسي والقطا والوراشين واليعاقيب والشفنين والزاغ والورداني والطوراني، وسيأتي بيان ذلك كل واحد في بابه إن شاء الله تعالى. والكلام الآن في الحمام الذي يألف البيوت وهو قسمان: أحدهما البري وهو الذي يلازم البروج وما أشبه ذلك، وهو كثير النفور وسمي برياً لذلك، والثاني: الأهلي، وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة منها الرواعب والمراعيش والعداد والسداد والمضرب والقلاب والمنسوب وهو بالنسبة إلى ما تقدّم كالعتاق من الخيل، وتلك كالبراذين.

قال الجاحظ: الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس وهو الأبيض، روى أبو داود والطبراني وابن ماجه وابن حبان بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة فقال: «**شيطان يتبع شيطانة**». وفي رواية: «**شيطان يتبعه شيطان**». قال البيهقي: وحمله بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام على إطارته والاشتغال به، وارتقاء الأسطحة التي يشرف منها على بيوت الجيران وحرمهم لأجله. وسيأتي الكلام عليه في الأحكام. وروى البيهقي عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: شهدت عمر بن عبد العزيز رحمه الله يأمر بالحمام الطيّار، فتذبح وتترك المقصصات. وروى ابن قانع والطبراني عن حبيب بن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه عن جده أنّ النبيّ ﷺ كان يعجبه النظر إلى الأترج والحمام الأحمر. وروى الحاكم في «**تاريخ نيسابور**» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترج وإلى الحمام الأحمر. قال ابن قانع والحافظ أبو موسى: قال: هلال بن العلاء: الحمام الأحمر: التفاح. قال أبو موسى: وهذا التفسير لم أره لغيره، وكان في منزله ﷺ حمام أحمر يقال له وردان.

وفي «**عمل اليوم والليلة**» لابن السني عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل أنّ علياً رضي الله تعالى عنه شكا إلى النبي ﷺ الوحشة، فأمره أن يتخذ زوج حمام وأن يذكر الله عند هديره. ورواه الحافظ ابن عساكر وقال: إنّه غريب جداً وسنده ضعيف. وروى ابن عدي في «**كامله**» في ترجمة ميمون بن موسى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنّه شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة، فقال له: اتخذ زوجاً من حمام تؤنسك وتصيب من فراخها، وتوقظك للصلاة بتغريدها أو اتخذ ديكاً يؤنسك ويوقظك للصلاة. وروى أيضاً في ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتّخذوا الحمام المقاصيص في بيوتكم فإنها تلهي الجن عن صبيانكم**»، وقال عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه: شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الوحشة، فقال له النبي ﷺ: «**اتخذ زوجاً من حمام**»، رواه الطبراني. وفيه الصلت الجراح لا يعرف وبقية رجاله رجال الصحيح وفي «**كامل ابن عدي**» في ترجمة سهل بن فرير عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**شكت الكعبة إلى الله تعالى قلة زوارها، فأوحى الله إليها: لأبعثنّ إليك أقواماً يحنّون إليك كما تحنّ الحمامة إلى فراخها**»، وفي «**سنن أبي داود والنسائي**» من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد جيد أنّ النبي ﷺ قال: «**يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة**». ومن طبعه أنّه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ، ويحمل الأخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة، وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ثم هو على ثبات عقله وقوّة حفظه، ونزوعه إلى وطنه، حتى يجد فرصة فيطير إليه، وسباع الطير تطلبه أشد الطلب، وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره، وهو أطير منه ومن سائر الطير كله لكنه يذعر منه ويعتريه ما يعتري الحمار إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب، والفأر إذا رأى الهر.

ومن عجيب الطبيعة فيه ما حكاه ابن قتيبة في «**عيون الأخبار**» عن المثنى بن زهير أنّه قال: لم أر شيئاً قط من رجل وامرأة إلاّ وقد رأيته في الحمام، رأيت حمامة لا تريد إلاّ ذكرها وذكر لا يريد إلاّ أنثاه إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد، ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعة يريدها، ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن آخر ما تعدوه، ورأيت حمامة تقمط حمامة. ويقال إنّها تبيض من ذلك ولكن لا يكون لذلك البيض فراخ، ورأيت ذكراً يقمط ذكراً، ورأيت ذكراً يقمط كل ما لقي ولا يزاوج وأنثى يقمطها كل ما رآها من الذكور، ولا تزاوج وليس من الحيوان ما يستعمل التقبيل عند السفاد إلاّ الإنسان والحمام وهو عفيف في السفاد يجر ذنبه ليعفي أثر الأنثى كأنّه قد علم ما فعلت فيجتهد في إخفائه، وقد يسفد لتمام ستة أشهر، والأنثى تحمل أربعة عشر يوماً، وتبيض بيضتين إحداهما ذكراً والثانية أنثى، وبين الأولى والثانية يوم وليلة، والذكر يجلس على

البيض ويسخنه جزءاً من النهار، والأنثى بقية النهار، وكذلك في الليل، وإذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر واضطرها للدخول، وإذا أراد الذكر أن يسفد الأنثى أخرج فراخه عن الوكر، وقد ألهم هذا النوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر تراباً مالحاً ويطعمها إياه ليسهل به سبيل المطعم، فسبحان اللطيف الخبير الذي آتى كل نفس هداها.

وزعم أرسطو أنّ الحمام يعيش ثمان سنين، وذكر الثعلبي وغيره عن وهب بن منبه في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68] وقال: يختار من النعم الضأن ومن الطير الحمام، وذكر أهل التاريخ: أنّ أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بالله لما حبس رأى في منامه كأنّ على يده حمامة مطوقة، فأتاه آت فقال له: خلاصك في هذا فلمّا أصبح حكى ذلك لابن سكينة الإمام، فقال له: ما أولته يا أمير المؤمنين، قال: أولته ببيت أبي تمام:

هن الحَمَامُ فإن كسرتَ عيافةً من حائهن فإنهنّ حِمامُ

وخلاصي في حمامي، فقتل بعد أيام يسيرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً. وروى البيهقي في «**الشعب**» عن معمر قال: جاء رجل إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال: رأيت في النوم كأن حمامة التقمت لؤلؤة، فخرجت منها أعظم مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة، فخرجت منها أصغر مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة، فخرجت منها كما دخلت سواء، فقال له ابن سيرين: أمّا التي خرجت أعظم مما دخلت، فذلك الحسن بن أبي الحسن البصري يسمع الحديث فيجوده بمنطقه، ثم يصل فيه من مواعظه، وأمّا التي خرجت أصغر مما دخلت، فذلك محمد بن سيرين يسمع الحديث، فينقص منه، وأمّا التي خرجت كما دخلت سواء، فهو قتادة وهو أحفظ الناس.

وذكر ابن خلكان في ترجمته، يعني ابن سرين أنّ رجلاً أتاه فقال له: رأيت كأني أخذت حمامة لجاري، فكسرت جناحها فتغير وجه ابن سيرين، وقال: ثم ماذا؟ قال: ثم جاء غراب أسود فقطَّ على ظهر بيتي فنقبه، فقال له محمد بن سيرين: ما أسرع ما أدبك ربك، أنت رجل تخالف إلى امرأة جارك وأسود يخالفك إلى امرأتك، قال: وكان ابن سيرين بزازاً، وكان من موالي أنس بن مالك خادم النبي ﷺ وحبس بدين كان عليه، وكان يقول: إنّي لأعرف الذنب الذي حمل به على الدين؛ قيل له: ما هو؟ قال: قلت لرجل مفلس منذ أربعين سنة يا مفلس، قال بعضهم: قلّت ذنوبهم فعلموا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبنا، فليس ندري من أين نؤتى، قال: وكان أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قد أوصى أن يغسله ويكفنه ويصلّي عليه محمد بن سيرين، وكان محمد بن سيرين محبوساً لما مات أنس، فاستأذنوا له الأمير، فأذن له فخرج فغسله وكفنه وصلى عليه، ثم رجع إلى السجن ولم يذهب إلى أهله، وكان ابن سيرين

من أعلام التابعين، وكانت له اليد الطولى في علم الرؤيا. رُوي أنّ امرأة جاءته وهو يتغدى، فقالت له: رأيت القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي ائتي ابن سيرين، فقصّي عليه، قال: فتغيّر لونه، وقام وهو آخذ على بطنه، فقالت له أخته: ما بالك؟ قال: زعمت هذه أني ميت بعد سبعة أيام، فمات بعد سبعة أيام سنة عشر ومئة بعد الحسن البصري بمئة يوم رحمهما الله تعالى. وفي «**الشعب**» للبيهقي عن سفيان الثوري أنّه قال: كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط، قال إبراهيم النخعي: من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر. وروى البزار في «**مسنده**» أنّ الله تعالى أمر العنكبوت، فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار، وأنّ ذلك مما صد المشركين عنه ﷺ وأنّ حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين. وروى ابن وهب أنّ حمام مكة أظلّت النبي ﷺ يوم فتحها، فدعا لها بالبركة، وروى الطبراني بإسناد صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ ۝٣﴾ [الطلاق: 2-3]، فجعل يعيدها عليَّ حتى نعست عنه، ثم قال: يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة؟ قلت: إلى السعة والدعة أنطلق إلى مكة، فأكون حمامة من حمام الحرم، فقال ﷺ: «**فكيف تصنع إذا أخرجت من مكة؟**» قلت: إلى السعة والدعة أنطلق إلى الشام والأرض المقدسة، قال: «**فكيف تصنع إذا أخرجت من الشام؟**» فقلت: والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي، قال ﷺ: «**أوخير من ذلك تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً؟**». وفي الصحيح طرف منه. وفي ابن ماجه طرف من أوّله. وذكر أنّ هارون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به، فأُهدي له حمام وعنده أبو البختري وهب القاضي، فروى له بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**لا سبق إلاّ في خف أو حافر أو جناح**» فزاد أو «جناح»، وهي لفظة وضعها للرشيد، فأعطاه جائزة سنية، فلمّا خرج، قال الرشيد: تالله لقد علمت أنّه كذب على رسول الله ﷺ، وأمر بالحمام فذبح؛ فقيل له: وما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كذب على رسول الله ﷺ، فترك العلماء حديث أبي البختري لذلك وغيره من موضوعاته، فلم يكتبوا حديثه، وكان أبو البختري المذكور قاضي مدينة النبي ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيري، ثم ولي قضاء بغداد بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمه الله، وتوفي أبو البختري سنة مائتين في خلافة المأمون. والبختري مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري الشاعر المشهور والأوّل بالخاء المعجمة، والثاني بالحاء المهملة، قال ابن أبي خيثمة والشيخ تقي الدين القشيري في الاقتراح: واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم وضعه للمهدي لا للرشيد، وقال ابن قتيبة وأبو البختري: هو وهب بن وهب بن وهب ثلاثة أسماء على نسق واحد، ومثله في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام، ومثله في الطالبيين حسن بن حسن بن حسن، ومثله في غسان الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث

الأكبر. انتهى. قلت: ومثله في المتأخرين الغزالي محمد بن محمد بن محمد أحد أصحاب الوجوه في المذهب.

وممّا حكي لنا واشتهر وروياه بالسند الصحيح عن الشيخ العارف بالله تعالى أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى أنّه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، وقد باهى موسى وعيسى صلى الله عليه وعليهما وسلم بالإمام الغزالي، فقال لهما: في أمتكما حبر كهذا، وأشار إلى الغزالي فقالا: لا، وقال الشيخ الإمام العارف بالله الأستاذ ركن الشريعة والحقيقة أبو العباس المرسي، وقد ذكر الغزالي، فشهد له بالصديقية العظمى وحسبك من باهى به النبي ﷺ موسى وعيسى، وشهد له الصدّيقون بالصديقيّة العظمى، وقد ذكر له شيخنا جمال الدين الأسنوي في «**المهمات**» ترجمة حسنة، منها: هو قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود وروح خلاصة أهل الإيمان، والطريق الموصلة إلى رضا الرحْمن يتقرب إلى الله تعالى به كل صديق ولا يبغضه إلاّ ملحد أو زنديق، قد انفرد في ذلك العصر عن أعلام الزمان، كما انفرد في هذا الباب فلا يترجم معه فيه إنسان. انتهى.

وكان حجة الإسلام زين الدين محمد الغزالي قد ولي تدريس النظاميّة بمدينة بغداد، ثم تركها وسلك طريق الزهد وقصد الحج فلمّا رجع توجه إلى الشام، فأقام بدمشق بزاوية الجامع وانتقل إلى القدس ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه بطوس، ثم ألزم بالعودة إلى نيسابور والتدريس بها في النظامية، ثم تركها وعاد إلى وطنه واتخذ خانقاه للصوفيّة وصرف وقته إلى وظائف الخيرات من تلاوة القرآن، ومجالسة الصالحين، وكثرة العبادة، والتخلّي عن الدنيا والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة، والتبحّر في علوم الحقيقة وكتبه نافعة مفيدة لاسيما «**إحياء علوم الدين**»، فإنّه كتاب لا يستغني عنه طالب الآخرة، توفي الإمام حجة الإسلام في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بطوس رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه.

وذكر ابن خلكان أنّ شرف الدين بن عنين حضر درس فخر الدين الرازي بخوارزم، فسقطت بالقرب منه حمامة، وقد طردها بعض الجوارح، فلمّا وقعت رجع عنها ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد، فلما قام الإمام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها وأخذها بيده، فأنشده ابن عنين بديها أبياتاً منها:

من نبّأ الورقاءَ أن محلّكم ... حَرمٌ وأنّك ملجأٌ للخائفِ
وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتَها ببقائها المستأنفِ
لو أنّها تُحْبَى بمال لانثنت ... من راحتيك بنائلٍ متضاعفِ

وكان بين شرف الدين بن عنين والملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق مؤانسة ومصاحبة، وكان يجري بينهما أمور تدل على حسن إدراك الملك المعظم منها أنّ ابن عنين حصل له توعك، فكتب إليه:

انظر إليَّ بعين مولىً لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه فاغنم ثنائي والثواب الوافي

فجاء إليه بنفسه ومعه ثلاثمائة دينار، فقال: هذه الصلة وأنا العائد، وهذه لو وقعت من أكابر النحاة لاستعظمت منه فضلاً عن ملك، قوله: هذه الصلة وأنا العائد لأنّ الذي اسم موصول يحتاج إلى صلة وعائد، فالصلة ما وصله به من المال، والعائد يحتمل معنيين: أحدهما: وأنا العائد لك بالصلة مرة بعد أخرى فطب نفساً والآخر: من عاد يعود عيادة وهي عيادة المريض، وكان الملك المعظم فاضلاً حازماً شجاعاً حنفي المذهب، وكانت له رغبة في فن الأدب حتى إنّه شرط لكل من حفظ مفصل الزمخشري مائة دينار وخلعة، فحفظه خلق كثير لهذا السبب، توفي سنة أربع وعشرين وستمائة، وتوفي الإمام فخر الدين الرازي المتقدم ذكره يوم عيد الفطر سنة ستمائة بهراة رحمهما الله تعالى.

فائدة: قال بعض الحكماء: كل إنسان مع شكله كما أنّ كل طير من جنسه، وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان في عشرة إلاّ وفي أحدهما وصف من الآخر، فإنّ أشكال الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان منه في طيران إلاّ لمناسبة بينهما، فرأى يوماً حمامة مع غراب، فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد، فلمّا مشيا إذا هما أعرجان فقال: من ههنا اتفقا، وكل إنسان يأنس إلى شكله كما أنّ كل طير يأنس إلى جنسه، فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة ما فلا بد أن يتفرّقا، كما قال بعض الشعراء:

وقائل: كيف تفرقتما؟ فقلت قولاً فيه إنصافُ:
لم يك من شكلي ففارقته والناس أشكال وألافُ

وسيأتي عنه في الصعوة شيء من هذا. روى أحمد في «**الزهد**» عن يزيد بن ميسرة أنّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه: ان استطعتم أن تكونوا بلهاً في الله تعالى مثل الحمام فافعلوا، قال: وكان يقال إنّه ليس شيء أبله من الحمام وذلك أنّك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها ثم يعود إلى مكانه ذلك، فيفرخ فيه.

الحكم: يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنّه من الطيبات ولأنّ الشارع أوجب فيه على المحرم إذا قتله شاة. وفي مستند ذلك وجهان، أحدهما: أن ذلك لما بينهما من الشبه، فإنّ كلاً منهما يألّف البيوت ويأنس بالناس، والثاني: وهو الأصح، أنّ مستنده توقيف بلغهم فيه، ونقل الرافعي عن الشيخ أبي محمد الخلاف فيما لو قتل طائراً أكبر من الحمام أو مثله، هل ينبني على هذا إن قلنا المستند التوقيف أوجبنا الشاة، وإن قلنا المستند المشابهة أوجبنا القيمة، وقد أسقط الإمام النووي رحمه الله هذه المسألة من «**الروضة**»، وكأنّه ظن أنّ الخلاف فيها لفظي لا فائدة فيه. وبيض الحمام وكل طائر يحرم على المحرم صيده حرام عليه، فإن أتلفه ضمنه بقيمته، هذا مذهبنا وبه قال الإمام أحمد وآخرون، وقال المزني وبعض أصحاب داود: لا جزاء

في البيض، وقال مالك: يضمنه بعشر ثمن أصله، قال ابن المنذر: واختلفوا في بيض الحمام، فقال علي وعطاء: في كل بيضتين درهم، وقال الزهري والشافعي وأصحاب الرأي وأبو ثور فيه قيمته. وسيأتي في بيض النعام حكمه إن شاء الله تعالى.

ومن أحكامه في الصيد أنّه إذا اختلطت حمامة مملوكة أو حمامات بحمامات مباحة محصورة لم يجز الاصطياد منها، ولو اختلطت بحمام ناحية جاز الاصطياد في الناحية، ولو اختلط حمام أبراج مملوكة لا تكاد تحصر بحمام بلدة أخرى مباحة ففي جواز الاصطياد منها وجهان، أصحهما الجواز وبيع الحمام في البرج على تفصيل بيع السمك في البركة، وسيأتي في باب السين المهملة إن شاء الله تعالى. ولو باعها وهي طائرة اعتماداً على عادة عودها فوجهان، أصحهما عند الإمام الجواز كالعبد المبعوث في شغل، وعند الجمهور المنع إذ لا وثوق بعودها لعدم عقلها، ومن أحكامه في الربا أنّه جنس واحد بجميع أنواعه كذا قال المراوزة، وقال العراقيون: إنّ كل نوع منه جنس، فالحمام جنس والقماري جنس والفواخت جنس، وأمّا اتخاذه للبيض والفراخ وللأنس وحمل الكتب فجائز بلا كراهة، وأمّا اللعب به والتطير والمسابقة؛ فقيل يجوز لأنّه يحتاج إليها في الحرب لنقل الأخبار والأصح كراهته لما تقدّم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه: «**شيطان يتبع شيطانة**»، قال ابن حبان بعد رواية هذا الحديث: إنّما قال له شيطان لأن اللاعب بالحمام لا يكاد يخلو من لغو وعصيان والعاصي يقال له شيطان: قال الله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112] وأطلق على الحمامة شيطانة للمجاورة ولا ترد الشهادة بمجرد اللعب بالحمام خلافاً لمالك وأبي حنيفة، فإن انضم إليه قمار أو نحوه ردت به الشهادة.

وروى أبو محمد الرامهرمزي في كتابه «**المحدث الفاضل بين الراوي والواعي**» عن مصعب الزبيري قال: سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه وقد قال لابنيْ أخته أبي بكر محمد وإسماعيل، ابني أبي أويس: أراكما تحبّان هذا الشأن وتطلبانه، يعني الحديث، قالا: نعم، قال: فإن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما فأقلا منه، وتفقها، قال: ونزل ابن مالك من فوق سطح ومعه حمام قد غطاه، فعلم مالك أنّه قد فهمه الناس، فقال مالك: الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات، والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات، وروي عنه أيضاً أنّه قال: كان يحيى بن مالك بن أنس يدخل ويخرج ولا يجلس معنا عند أبيه، فكان إذا نظر إليه أبوه قال: هاه إن مما تطيب به نفسي أنّ هذا الشأن لا يورث وإن أحداً لم يخلف أباه في مجلسه إلاّ عبد الرحمٰن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وكان أفضل أهل زمانه، وكان أبوه أفضل أهل زمانه، وقال البخاري في «**المناسك من صحيحه**»: حدّثنا علي بن عبد الله قال: حدّثنا سفيان، قال: حدّثنا عبد الرحمٰن بن القاسم، وكان أفضل أهل زمانه أنّه سمع أباه، وكان أفضل أهل زمانه يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: طببت رسول الله ﷺ

بيدي هاتين الحديث. وأم عبد الرحمٰن قريبة بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، واتفق الناس على جلالته وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه، ولد في حياة عائشة رضي الله تعالى عنها، وتوفي سنة ست وعشرين ومئة، روى له الجماعة. وروي أنّ المنصور أمير المؤمنين، قال له يوماً: عظني بما رأيت، قال: مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابناً فبلغت تركته سبعة عشر ديناراً كفن منها بخمسة دنانير، واشْتُرِيَ له موضع القبر بدينارين، وأصاب كل واحد من أولاده تسعة عشر درهماً، ومات هشام بن عبد الملك، وخلف أحد عشر ابناً فورث كل واحد منهم ألف ألف درهم، ثم إني رأيت رجلاً من أولاد عمر بن عبد العزيز حمل في يوم واحد على مئة فرس في سبيل الله تعالى، ورأيت رجلاً من أولاد هشام يسأل أن يتصدّق عليه، انتهى. قلت: هذا أمر غير عجيب، فإنّ عمر وكّلهم إلى ربه، فكفاهم وأغناهم وهشام وكلهم إلى دنياهم، فأفقرهم مولاهم. وأمّا بيع زرق الحمام وسرجين البهائم المأكولة، وغيرها فباطل وثمنه حرام هذا مذهبنا، وقال أبو حنيفة: يجوز بيع السرجين لاتفاق أهل الأعصار في جميع الأمصار على بيعة من غير إنكار، ولأنّه يجوز الانتفاع به فجاز بيعه كسائر الأشياء، واحتج أصحابنا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ النبي ﷺ قال: «**إنّ الله تعالى إذا حرّم على قوم شيئاً حرّم عليهم ثمنه**»، وهو حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح، وهو عام إلاّ ما خرج بدليل كالحمار وبأنّه نجس العين، فلم يجز بيعه كالعذرة، فإنّهم وافقونا على بطلان بيعها مع أنّه ينتفع بها، وأمّا الجواب عمّا احتجوا به فهو ما أجاب به الماوردي وغيره أن بيعه إنّما يفعله الجهلة والأراذل فلا يكون ذلك حجة في دين الإسلام، وأمّا قولهم: إنّه ينتفع به فأشبه غيره، فالفرق أنّ هذا نجس بخلاف غيره.

الأمثال: قالوا: آمن من حمام الحرم، وآلف من حمام مكة وقالوا: تقلّدها طوق الحمامة؛ كناية عن الخصلة القبيحة أي: تقلدها كطوق الحمامة لأنّه لا يزايلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثله قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13]، أي: أن عمله لازم لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه. وقال الزمخشري: فإن قلت: لم ذكر حسيباً؟ قلت: لأنّه بمنزلة الشاهد والقاضي والأمين لأنّ هذه الأمور الغالب أن يتولاها الرجال، فكأنّه قيل له كفى بنفسك رجلاً حسيباً، وكان الحسن البصري إذا قرأها قال: يا بن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك؛ وقيل في قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: 180]، أي: يلزمون أعمالهم كما يلزم الطوق العنق، يقال: طوق فلان عمله طوق الحمامة، أي: ألزم جزاء عمله. روى الإمام أحمد في «**الزهد**» عن مطرف أنّه قال: إذا أنا متُّ فلا تحبسوني لكي يجتمع الناس، فأطوقهم طوق الحمامة، ومن هذا المعنى قول عبد الله بن جحش لأبي سفيان:

أبلغْ أبا سفيانَ عن أمرٍ عواقبه ندامهْ
دارُ ابن عمك بعتها تقضي بها عنك الغرامهْ

وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامهْ
اذهبْ بها، اذهبْ بها طوّقتها طوق الحمامهْ

أي: لزمه عارها. قال الإمام عبد الرحمٰن السهيلي: هذا المثل منتزع من قول رسول الله ﷺ: «**من غصب شبراً من أرض طوّقه يوم القيامة من سبع أرضين**»، وقوله: طوق الحمامة لأنّ طوقها لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبداً كما يفعل من لبس طوقاً من الآدميين، وفي هذا البيت من حلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه، وفي قوله: طوق الحمامة ردّ على من تأوّل قوله ﷺ «**طوّقه من سبع أرضين**» أنّه من الطاقة لا من الطوق في العنق. وقاله الخطابي في أحد قوليه مع أنّ البخاري قد قال في بعض رواياته: خسف به إلى سبع أرضين. وفي «**مصنف ابن أبي شيبة**»: من غصب شبراً من أرض جاء به أسطاماً في عنقه. والأسطام كالحلق من الحديد، وقالوا: أخرق من حمامة لأنّها لا تحكم عشها، وذلك لأنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة، فتبني عليه عشها في الموضع الذي تذهب به الريح فينكسر من بيضها أكثر مما يسلم، قال عبيد بن الأبرص:

عيُّوا بأمرهمُ كما عييت ببيضتها الحمامَهْ
جعلتْ لها عودين من بشم وآخر من ثمامه

الخواص: إذا سكن المخدور بقربها أو في بيت يجاورها أو في بيت هي فيه برىء، وفي مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والسبات. وهذه خاصية عظيمة بديعة، ودمها إذا اكتحل به حاراً نفع من الجراحات العارضة للعين والغشاوة، ودمها خاصة يقطع الرعاف الذي من حجب الدماغ، وإذا خلط بالزيت أبرأ من حرق النار. وزبل الحمام حار، وأشده حرارة زبل البري الذي لا يأوي البيوت وأعجب ما في زبله أنّه إذا سخن في الماء وجلس فيه من به عسر البول أبرأه ومما جرب لعسر البول أن يكتب له في إناء نظيف ثم يذاب بماء ويسقى لمن به ذلك، فإنّه يبول من وقته وساعته قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48] و﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]، رمص نفح وشفوا بفضل الله عز وجل.

وإذا طلي بالخل وضمد به من به وجع الاستسقاء نفعه نفعاً بيناً، وزبل الحمام الأحمر إذا شرب منه قدر درهمين مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة، ولحم الحمام جيد للكلى، ويزيد في المني والدم، وإذا شقت وهي حية ووضعت وهي حارة في موضع لسع العقرب نفعت نفعاً بيناً، وزبل الحمام إذا بخر به المطلقة أسرع بنزول الولد والمشيمة.

التعبير: الحمام في المنام رسول أمين أو صديق صدوق أو حبيب أنيس، وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد. قال الشاعر:

صب ينوح إذا الحمام ينوح

وربما دلت الحمامة في الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لا تبتغي ببعلها بدلاً، والحمام على رأس المريض هو حمام الموت. قال الشاعر:

هن الحَمَامُ فإن كسرت عيافة من حائهن فإنّهن حِمَامُ

وبروجها مجمع النساء وفراخها بنون، فمن رأى أنّه يعلف الحمام ويدعوهنّ إليه، فإنّه يقود وإن حشر الحمام والغربان في مكان واحد، فإنه يقود أيضاً، لأنّ الغربان فساق وكل شيء يحشر مع غير جنسه كالنعاج والكلاب، وأشباه ذلك، فإنّه قيادة، وهدير الحمام كلام باطل، ومن سمع حمامة تهدر، فإنّه يدل على امرأة تعاتب زوجها، ومن رأى حمامة قدمت عليه وتلقّاها فإنّه يرد عليه كتاب، ومن نفرت منه حمامته ولم تعد إليه فإنّه يطلّق زوجته أو تموت، ومن رأى كأنّ له حماماً فإنّه ممن يشتري الجواري، ومن قص جناح حمامة في المنام فقد حلف على زوجته أن لا تخرج من بيته أو تلد أو تحمل، لأنّ النفاس والحمل يمنعان من الخروج، والحمام الذي يهدي إلى الطريق فإنّه خبر يأتي الرائي من مكان بعيد، والحمام في المنام دليل خير لمن يصادق أو يشارك لاجتماع بعضه مع بعض في الطيران والمزاوجة، وقال جاماسب: من اصطاد الحمام في منامه أكل مال أعدائه، ومن رأى بعين حمامته نقصاً فهو نقص في دين زوجته وخلقها. وقال ابن المقري: رؤية المنوب من الحمام إلى من دونه شريف القدر أو النسب ورؤيته دالة على الإفراج والنصر على الأعداء واللهو واللعب، وربما دلّ الحمام على الأزواج الصينيات وذوات الحفظ للأسرار، والكد على العيال، وربما دلّ على الحمام الذي هو الموت، وربما دل على المرأة ذات الأولاد، والرجل الكثير النسل المنعكف على أهل بيته والله أعلم.

الحمد: فرخ القطاة، وفي المثل: حمد قطاة يتميل الأرانب أن يصيدها يضرب للضعيف الذي يروم أن يكيد قوياً، قال الميداني: ولم أر له ذكراً في الكتب.

الحُمَّرُ: بضم الحاء المهملة، وتشديد الميم وبالراء: المها، ضرب من الطير كالعصفور، قال أبو المهوش الأسدي:

قد كنتُ أحسبكم أسود خفيَّةٍ فإذا لصاف تبيضُ فيه الحمَّرُ

لصاف: اسم جبل والواحدة حمرة. قال الراجز:

وحُمَّرات شربهن غِبُّ إذا غفلْتُ غفلةً تَعُبُّ

وقد تخفّف، فيقال: حمرة وحمرات. وابن لسان الحمرة كان من خطباء العرب وهو أحد بني تيم اللات بن ثعلبة، وكان من علماء زمانه، ضرب به المثل في الفصاحة وطول العمر، واسمه ورقاء بن الأشعر ويكنى أبا كلاب، سأله معاوية يوماً عن أشياء، فأجابه عنها فقال له: بم نلت العلم؟، قال: بلسان سؤل وقلب عقول، ثم قال: يا أمير المؤمنين إنّ للعلم آفة وإضاعة ونكداً واستجاعة، فآفته النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله، ونكده الكذب فيه، واستجاعه أنّ صاحبه منهوم لا يشبع أبداً.

الحكم: حل الأكل بالإجماع لأنّها من أنواع العصافير، وقال العبادي: منهم من حرّم الحمر لأنّه نهاش وهذا قول شاذ مردود. روى أبو داود الطيالسي والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فدخل رجل غيضة، فأخرج منها بيض حمرة، فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول الله ﷺ وأصحابه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أيكم فجع هذه؟**» فقال رجل: أنا يا رسول الله أخذت بيضها. وفي رواية الحاكم أخذت فرخها فقال رسول الله ﷺ: «**رده رده رحمة لها**». وفي الترمذي وابن ماجه عن عامر الدارمي أنّ جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ دخلوا غيضة، فأخذوا فرخ طائر فجاء الطائر إلى رسول الله ﷺ يرف، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أيكم أخذ فرخ هذا؟**» فقال رجل: أنا، فأمره أن يرده فرده. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في الكلام على الفرخ الحديث الذي رواه أبو داود في أول كتاب الجنائز عن عامر الرامي، والحكمة في الأمر بالرد أنّه يحتمل أنّهم كانوا محرمين أو لأنّها لما استجارت به أجارها، فكان الإرسال في هذه الحالة واجباً.

الأمثال: قالوا: أعمر من ابن لسان الحمرة، وقالوا: أنسب من ابن لسان الحمرة، وكان أنسب العرب وأعظمهم كبراً.

وخواصه وتعبيره: ستأتي في باب العين المهملة في لفظ العصفور.

الحَمَسَة: بتحريك الحاء والميم والسين المهملة دابة من دواب البحر؛ وقيل: هي السلحفاة، والجمع حمس حكاه ابن سيده.

الحِماط: بكسر الحاء المهملة والحمطوط بالضم دويبة تكون في العشب.

الحمك: الصغار من كل شيء واحدته حمكة، وقد غلب على القمل، والحمك أيضاً فراخ القطا والنعام، والحمك أيضاً أراذل الناس. قال الراجز:

لا تعذليني برُذالات الحَمِكْ

الحَمَل: الخروف إذا بلغ ستة أشهر؛ وقيل هو ولد الضأن الجذع فما دونه، والجمع حملان وأحمال. روى ابن ماجه من حديث أبي يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بدار من دور الأنصار، فوجد ريح قتار فقال: «**من هذا الذي ذبح؟**» فخرج إليه رجل منا فقال: أنا يا رسول الله ذبحت قبل أن أصلي لأطعم أهلي، فأمره ﷺ أن يعيد فقال:

والله الذي لا إله إلاّ هو ما عندي إلاّ حمل من الضأن، فقال ﷺ: «**اذبحه ولن يجزىء عن أحد بعدك**».

وفي كتاب «**قوت القلوب**» لأبي طالب المكي في أوائل الفصل الخامس والعشرين قال: حدّثني بعض إخواني عن بعض أهل هذه الطائفة قال: قدم علينا بعض الفقراء، فاشترينا من جار لنا حملاً مشوياً، ودعوناه في جماعة من أصحابنا، فلمّا مد يده ليأكل وأخذ لقمة وجعلها في فيه لفظها، ثم اعتزل، وقال: كلوا أنتم فإنّه قد عرض لي مانع منعني من الأكل، فقلنا له: لا نأكل ما لم تأكل معنا، فقال: أمّا أنا فغير آكل، ثم انصرف، فكرهنا أن نأكل دونه، فقلنا: لو دعونا الشواء، فسألناه عن أصل هذا الحمل، فلعلّ له سبباً مكروهاً فدعوناه وسألناه، ولم نزل به حتى أقرّ أنّه كان ميتة، وأنّ نفسه شرهت إلى بيعه حرصاً على ثمنه، قال: فأطعمناه الكلاب، ثم لقينا الرجل، فسألناه عن العارض الذي منعه عن الأكل، فقال: ما شرهت نفسي إلى الأكل منذ عشرين سنة، فلما قدمتم إليّ هذا الحمل شرهت نفسي إليه شرهاً ما عهدته قبل ذلك؛ فعلمت أنّ في الطعام علّة، فتركت أكله لأجل شره النفس، قال: فانظر كيف اتفقا في شره النفس عن قصد واحد، واختلفا في التوفيق والخذلان، فعصم الله العالم بالورع والمحاسبة، وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة.

عجيبة: في «**معجم ابن قانع والطبراني**» في ترجمة كردم بن السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في أوّل ما ذكر النبي ﷺ بمكة فآوانا الليل إلى راع، فلمّا انتصف الليل جاء الذئب، فاحتمل حملاً من الغنم، فوثب الراعي وقال: يا عامر الوادي أوذي جارك، فنادى منادٍ: يا سرحان أرسله، فجاء الحمل يشتد عدواً، حتى دخل في الغنم وأنزل الله تعالى على رسوله ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6] وهو في «**الميزان**» في ترجمة إسحاق بن الحارث الكوفي، وهو ضعيف وفي «**الشفاء**» للقاضي عياض رحمه الله تعالى يقال: إن سبب ابتلاء يعقوب بيوسف صلى الله عليهما وسلم أنّه اجتمع يوماً هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما يضحكان، وكان لهما جار يتيم، فشم رائحته واشتهاه، وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه، وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه بذلك، فعوقب يعقوب بالبكاء أسفاً على يوسف إلى أن ابيضت عيناه من الحزن، فلمّا علم بذلك كان بقية حياته يأمر منادياً ينادي على سطحه ألا من كان مضطراً، فليتغد عند آل يعقوب. وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها. انتهى. قلت: وهذا الكلام لا أعتقد له صحة، وقد عجبت من القاضي عياض رحمه الله كيف ذكره في كتابه، والذي يجب تنزيههما عن هذه الرذيلة، وإنّما ذكرته لأنبّه على أنّه لا يعتقد صحته، وإن كان الطبراني قد روى في «**معجمه الأوسط والصغير**» من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث طويل شيئاً من ذلك، وأنّ يعقوب كان بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً ينادي: ألا من أراد الغداء، فليتغد مع يعقوب، وإذا كان

صائماً نادى منادٍ: ألا من كان صائماً، فليفطر مع يعقوب، فإنّما رواه الطبراني عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جداً. وكذا رواه البيهقي في «**الشعب**» في الباب الثاني والعشرين. وذكر الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 94]، أنّ ريح الصبَّا استأذنت ربّها عزّ وجلّ أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، فأذن لها فلذلك يستروح كل محزون بريح الصبا، وهي من ناحية المشرق فيرتاح إلى الأوطان والأحباب. وأنشد:

أيا جَبَلَي نَعْمان بالله خليا نسيمَ الصَّبا يسري إليَّ نسيمُها
فإنّ الصَّبا ريح إذا ما تنسَّمت على نفس مهموم تجلّت همومُها

حَمنان: بفتح الحاء المهملة، صغار القردان واحدته حمنانة وحمنة، وهي من القراد دون الحلم.

الحَمولة: قال الجوهري: هي بالفتح: الإبل التي تحمل، وكذلك كل ما احتمل عليه الحي من حمار أو غيره، سواء كانت عليه الأحمال أو لم تكن، وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول بها، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: 142] وسيأتي له ذكر في باب الفاء إن شاء الله تعالى.

الحميمق: قال ابن سيده إنّه طائر يصيد القطار والجنادب ونحوهما، وسمعت بعض أهل العلم يقول: إنّه الباشق ويفسر به قول أبي الوليد الأزرقي في «**تاريخ مكة**» وهو: قال ابن جريج، قلت لعطاء: إذا كنت محرماً، أفأقتل العقاب، قال: اقتل، قلت: والصقر والحميمق، فإنّهما يأخذان حمام المسلمين، قال: اقتل واقتل البعوض والذباب، واقتل الذئب فإنّه عدو. وذكره في تعظيم الحرم.

حُميل حر: بالضم، وقد يكسر: طائر معروف.

الحَنش: بفتح الحاء المهملة، والنون وبالشين المعجمة الحية، ويقال: الأفعى والجمع أحناش؛ وقيل: الأحناش جميع دواب الأرض، كالضب والقنفذ واليربوع وغيرها، ثم خصت به الحية. قال ذو الرمة:

وكم حَنَشٍ ذَعْفِ اللعاب[1] كأنّه على الشَّرَك العاديِّ نِضْوُ عصامِ

(١) ذعف اللعاب: سريع القتل.

وبه سمّي الرجل حنشاً؛ وقيل: الحنش حية بيضاء غليظة مثل الثعبان أو أعظم؛ وقيل إنّه أسود الحيات والحنش أيضاً بالتحريك كل ما يصاد من الطير والهوام. وفي كتاب «**العين**» الحنش ما رؤوسها رؤوس الحيّات وسام أبرص ونحوها، وفي الحديث في قتل الدجّال: «**وترتفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل دابة، حتى يدخل الوليد يده في فم الحنش، فلا يضره**» الحمة هي ما تلسع به الهوام. وفي «**سنن ابن ماجه**» و«**جامع الترمذي**» عن خزيمة ابن جزء أنّه قال: يا رسول الله جئتك أسألك عن أحناش الأرض، ما تقول في الثعلب؟ قال: «**ومن يأكل الثعلب؟**» قلت: فما تقول في الذئب؟ قال: «**أويأكل الذئب أحد فيه خير؟**». وذكر الترمذي الذئب والأرنب فكل هذه من أحناش الأرض.

الحنظب: الذكر من الجراد، وقال الخليل: الحناظب: الخنافس الواحدة حنظب وحنظباء وقال حمزة الأصفهاني: من المركبات بين الثعلب والهرة الوحشية الحنظب، وأنشد لحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

أبوك أبوك وأنت ابنُهُ فبئس الجُنَيُّ وبئس الأبُ
وأمُّك سوداء نوبيَّةٌ كأنّ أناملها الحُنظُبُ
يبيتُ أبوك لها سافداً كما سافدَ الهرةَ الثَّعْلبُ

قال الطماحي يصف كلباً أسود:

أعددت للذئب وليل الحارسِ مصدَّراً أتلع مثل الفارسِ
يستقبل الريح بأنف خانسِ في مثل جلد الحنظباء اليابسِ

الحوار: ولد الناقة ولا يزال حواراً حتى يفصل عن أمه، فإذا فصل عن أمّه، فهو فصيل وثلاثة أحورة والكثير حيران وحوران أيضاً، قاله الجوهري. وذكر ابن هشام وغيره في سرية عبد الله بن أنيس إلى خالد بن نبيح وكانت في المحرم في السنة الثالثة من الهجرة، وكان ينزل عرنة أنّه قال في ذلك:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله نوائح تفري كل جَيْبٍ مقدّد

الأبيات الخمسة، وسيأتي ذكر القصة إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة في العنكبوت.

الأمثال: قال صاحب يسار الكواعب له: يا يسار، كل لحم الحوار، واشرب لبن العشار، وإياك وبنات الأحرار، والقصة في ذلك مشهورة، وفي ذلك يقول الشاعر:

وإني لأخشى إن خطبت إليهم عليك الذي لاقى يسار الكواعب

وقالوا: أمسخ من لحم الحوار، قال الشاعر:

وقد علم المعشر الطارقوك بأنّك للضيف جوع وقَرُّ

مسيخ مليخ كلحم الحوار فلا أنت حلو ولا أنت مرُّ

المسيخ والمليخ الذي لا طعم له، وقالوا: كسؤر العبد من لحم الحوار، ويضرب للشيء الذي لا يدرك منه شيء، وأصله أنّ عبداً نحر حواراً وأكله كلّه ولم يبق لمولاه منه شيئاً، فضرب به المثل لما يفقد البتة.

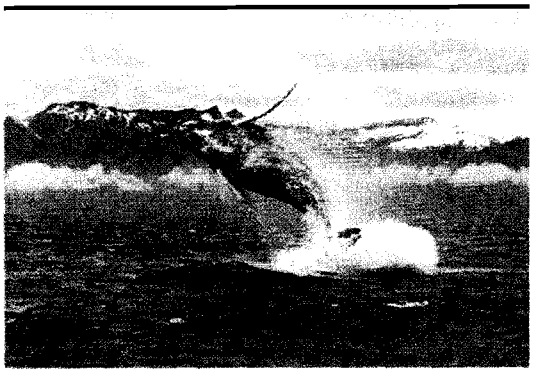

الحوت: السمك، والجمع أحوات وحوتة وحيتان، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ [الأعراف: 163] الآية، وهذا يمكن أن يقع من الحيتان بإرسال من الله تعالى، كإرسال السحاب أو بوحي إلهام كوحي إلى النحل، أو بإشعار في ذلك اليوم نحو ما يشعر الله الدواب يوم الجمعة بأمر الساعة حسبما يقتضيه قول رسول الله ﷺ: «**ما من دابة إلاّ وهي مصيخة يوم الجمعة فرقاً من قيام الساعة**»، ويحتمل أن يكون ذلك من الحيتان شعور بالسلامة في ذلك اليوم على نحو شعور حمام الحرم بالسلامة، قال أصحاب القصص: كان الحوت يقرب ويكثر حتى يمكن أخذه باليد، فإذا كان يوم الأحد غاب بجملته؛ وقيل: يغيب أكثره ولا يبقى منه إلاّ القليل، وستأتي القصة في ذلك في باب القاف في لفظ القرد. وروينا بالسند الصحيح عن سعيد بن جبير أنّه قال: لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض لم يكن فيها غير النسر في البر، والحوت في البحر، وكان النسر يأوي إلى الحوت، فيبيت عنده، فلمّا رأى النسر آدم عليه السلام أتى الحوت، وقال: يا حوت لقد أهبط اليوم إلى الأرض من يمشي على رجليه، ويبطش بيديه، فقال الحوت: لئن كنت صادقاً فمالي منجى منه في البحر، ومالك مخلص منه في البر.

الأمثال: قال الشاعر:

كالحوت لا يلهيه شيء يلهمُهْ يصبح ظمآن وفي البحر فَمُهْ

اللّهم الابتلاع، يضرب لمن عاش بخيلاً شرهاً. روى الطبراني في «**معجمه الأوسط**» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «**علماء هذه الأمة رجلان، رجل آتاه الله علماً فبذله للناس، ولم يأخذ عليه طعماً ولم يشتر به ثمناً قليلاً، فلذلك يصلّي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله سيداً شريفاً، حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فضنّ به على عباد الله وأخذ عليه طعماً واشترى به ثمناً قليلاً فذاك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار، وينادي مناد على رؤوس الأشهاد: هذا**

فلان بن فلان آتاه الله علماً في الدنيا فضنّ به على عباد الله وأخذ عليه طعماً واشترى به ثمناً قليلاً، ثم يعذب حتى يفرغ من الحساب».

ويكفي الحوت شرفاً أنّه كان وعاء ومسكناً لنبي الله يونس بن متى عليه الصلاة والسلام، وذلك أنّ الله تعالى أوحى إليه: إني لم أجعل لك يونس رزقاً وإنّما جعلت بطنك له حرزاً وسجناً، ثم استنقذه الله تعالى من بطنه، واختلف في مدّة لبثه في بطن الحوت، فقال مقاتل بن حيان: ثلاثة أيام، وقال عطاء: سبعة أيام، وقال الضحاك: عشرين يوماً، وقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان: أربعين يوماً، وقال الشعبي: التقمه ضحىً ولفظه عشية، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات: 146]، فالمراد باليقطين هنا القرع على قول جميع المفسرين، فكل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء، نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين.

فائدة: سئل إمام الحرمين هل الباري تعالى في جهة؟ فقال: هو متعال عن ذلك؛ فقيل له: ما الدليل على ذلك؟، فقال قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»، فقيل له: ما وجه ذلك؟، فقال: لا أقول، حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار يقضي بها دينه، فقام بها رجلان، فقال: إنّ يونس بن متى رمى نفسه في البحر، فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث، ونادى أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ولم يكن النبي ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر، وانتهى إلى أن سمع صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله تعالى من يونس بن متى في بطن الحوت في ظلمة البحر. انتهى. وسيأتي في باب النون إن شاء الله تعالى جواب ابن عباس رضي الله عنهما عن رسالة ملك الروم التي سأل فيها معاوية عن القبر الذي سار بصاحبه.

وروى الحاكم في «**المستدرك**» بإسناد فيه يزيد بن يزيد البلوى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً فإذا في الوادي رجل يقول: اللّهمّ اجعلني من أمّة محمد المرحومة، قال: فأشرفت عليه، فإذا رجل طوله ثلثمائة ذراع، فقال: من أنت؟ قلت: أنا أنس بن مالك خادم النبي ﷺ، فقال: وأين هو؟ قلت: هو ذا يسمع منك كلامك، قال: فأته وأقرئه مني السلام، وقل له أخوك إلياس يقرئك السلام، قال: فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فجاء، حتى عانقه وقعدا يتحدثان فقال: يا رسول الله إنّي إنّما آكل في السنة يوماً واحداً وهذا يوم فطري، فآكل أنا وأنت، فنزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس، فأكلا وأطعماني وصليا العصر، ثم ودعه، ثم رأيته مر في السحاب نحو السماء، قال الحاكم صحيح الإسناد: قال شيخ الإسلام العلاّمة شمس الدين الذهبي رحمه الله في «**الميزان**»: أما استحيا الحاكم من الله تعالى في تصحيح مثل هذا؟، وقال في «**تلخيص المستدرك**» بعد قول الحاكم: هذا صحيح، قلت: بل هو موضوع قبح الله من وضعه، وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبالغ بالحاكم إلى تصحيح هذا ا هـ.

فائدة: قال القشيري: يقال إنّ سليمان عليه الصلاة والسلام، سأل ربه سبحانه وتعالى أن يأذن له أن يضيف يوماً جميع الحيوانات، فأذن الله تعالى له، فأخذ سليمان في جمع الطعام مدة طويلة، فأرسل الله تعالى له حوتاً واحداً من البحر، فأكل كل ما جمعه سليمان في تلك المدّة الطويلة، ثم استزاده، فقال سليمان: لم يبق عندي شيء، ثم قال له: وأنت تأكل كل يوم مثل هذا، فقال: رزقي كل يوم ثلاثة أضعاف هذا، ولكن الله لم يطعمني اليوم إلاّ ما أطعمتني أنت، فليتك لم تضيفني فإني بقيت اليوم جائعاً حيث كنت ضيفك. انتهى.

وفي هذا إشارة إلى كمال قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه وسعة خزائنه، إذ مثل سليمان مع سعة ملكه وقوّة سلطانه الذي آتاه الله تعالى عجز أن يشبع مخلوقاً واحداً من مخلوقات الله تعالى، فسبحانه المتكفل بأرزاق خلقه (وهنا دقيقة يجب أن ينتبه لها) وهي أنّ الشبع والري ليس هو من فعل الطعام والماء، وإنّما أجرى الله العادة بخلق الشبع عند أكل الطعام، وخلق الري عند شرب الماء، فالشبع والري خلق الله تعالى، هذا مذهب أهل الحق ولا التفات لمن قال غير ذلك.

حكمه وخواصه وتعبيره: كالسمك، وسيأتي في باب السين المهملة إن شاء الله تعالى.

حوت الحيض: قال ابن زهرة: قال لي من رآه أنّه دابة عظيمة في البحر تمنع المراكب الكبار عن السير، فإذا أشرف أهل السفينة على العطب رموا له بخرق الحيض، فيهرب ولا يقربهم، فهي معدة معهم لذلك، وهذا الحوت اسمه الفاطوس، وسيأتي في باب الفاء إن شاء الله تعالى، قال: ومن عجيب أمر هذا الحيوان أنّه لا يقرب مركباً فيه امرأة حائض.

وحكمه: كعموم السمك ودم الحوت نجس كسائر الدماء؛ وقيل: طاهر لأنّه إذا يبس ابيض بخلاف سائر الدماء، فإنّها تسود كذا نقله القرطبي عن بعض الحنفية.

الخواص: قال الرازي وغيره: إذا سعط المصروع بوزن حبة من مرارته برىء من الصرع بإذن الله تعالى، وهو مجرّب، وكبده إذا جفّفت وسحقت وذر منها على الدم السائل قطعه أو على الجرح ألحمه وأبرأه، وإن كان عظيماً، وهو أيضاً مجرّب، ووسط لحم ظهره إذا أُخذ منه قطعة ولاكها إنسان هيجت الباه وأنغظت.

تذنيب: الحيض في المنام نكاح حرام، فمن رأى أنّه حائض، فإنّه يأتي محرّماً والمرأة إذا رأت أنّها حائض اختلط عليها أمرها فإن اغتسلت ذهب الهم عنها، وإن رأت امرأة أنّها

مستحاضة وهي التي لم ينقطع الدم عنها، فإنّها كثيرة الذنوب لا تثبت على توبة لأن الإثم صار طبعاً لها نسأل الله السلامة، وقيل إن الرجل إذ رأى أنه حائض فإنه يكذب، وإن رأى امرأته حائضاً انغلق عليه أمره، والله تعالى أعلم.

حوت موسى ويوشع عليهما الصلاة والسلام :

قال أبو حامد الأندلسي: رأيت سمكة بقرب مدينة سبتة من نسل الحوت الذي أكل منه موسى وفتاه يوشع عليهما السلام، فأحيا الله نصفه، فاتخذ سبيله في البحر سرباً ونسلها في البحر إلى الآن في ذلك الموضع وهي سمكة طولها أكثر من ذراع، وعرضها شبر واحد في جانبها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشائها ولها عين ونصف رأس من رآها من هذا الجانب استقذرها ويحسب أنّها ميتة ونصفها الآخر صحيح، والناس يتبرّكون بها ويهدونها إلى الأماكن البعيدة، قال ابن عطية: وأنا رأيتها كذلك، قال: ومن غريب ما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قصص هذه الآية، أنّ الحوت إنّما حيي لأنّه مسه ماء عين هناك تدعى عين الحياة، ما مست ميتاً قط إلاّ وحيي، وقال الكلبي: توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فنضح على الحوت المالح، وهو في المكتل من ذلك الماء، فعاش الحوت، فجعل يضرب بذنبه ولا يضرب بذنبه شيئاً من الماء، وهو ذاهب إلا يبس، قال: ومن غريبه أيضاً أنّ بعض المفسرين ذكر أنّ موضع سلوك الحوت عاد طريقاً يبساً، وأنّ موسى مشى عليه متبعاً للحوت، حتى أفضى به ذلك الطريق إلى جزيرة في البحر، وفيها وجد الخضر.

إشارة: كانت هذه القطرة مباركة فأحيا الله تعالى بها الميت لأنّها قطرة من وجه متوضىء وللعبادات تأثيرات، فحياة القلب من ميراث العمل، كان موسى ويوشع في تعب ومشقة، فلمّا حيي الحوت وجدا السبيل إلى مطلبهما فكذا الجوارح والأعضاء في خوف وحيرة حتى تحيا القلوب بذكر الله تعالى، فإذا حيي القلب بالذكر أمنت الأعضاء وسكنت. واعلم أنّ موسى عليه السلام جد في طلب الخضر حتى وجده، وكذلك يستحب لكل طالب فائدة دينيّة أو دنيوية أن يكون كراراً غير فرار، فإمّا الظفر والغنيمة، وإمّا القتل والشهادة كما اتفق للحسين الحلاج وغيره، وقد تقدّم ذكر قصته قريباً. وروى أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: «**انجاب الماء عن مسلك الحوت، فصار كوّة لم تلتئم، فدخل موسى على أثر الحوت فإذا هو بالخضر**»، وقال قتادة: ما سلك الحوت طريقاً إلاّ صار ماءً جامداً طريقاً يبساً، وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد لحقه الجوع، فقال لفتاه، وهو يوشع: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62]، الآية. قال ابن عطية: وكان أبو الفضل الجوهري يقول في وعظه: مشى موسى عليه السلام لمناجاة ربه تعالى أربعين يوماً لم يحتج إلى طعام، ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع، والإشارة في ذلك أنّهما كانا متعلمين، وطالب العلم من حقه أن يحتمل كل مشقة ولا يبالي بصيف ولا شتاء ولا جوع ولا ذل، إذ الذي يطلب

لا يعرف قيمته إلاّ صاحبه، ومن عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن طلب العظيم خاطر بالعظيم، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الصاد المهملة في الصرد عن مقاتل طرف من ذلك مطوّل.

وكانت حياة الحوت عند مجمع البحرين، قال قتادة: مجمع البحرين هما بحر فارس وبحر الروم مما يلي الشرق؛ وقيل: هما بحر الأردن وبحر القلزم؛ وقيل: هما بحر بالمغرب وبحر بالزقاق، والحكمة في جمع موسى مع الخضر عليهما السلام بمجمع البحرين أنّهما بحران في العلم أحدهما أعلم بالظاهر، وأعني بالظاهر علم الشرع وهو موسى، والآخر أعلم بالباطن وأعني بالباطن علم الحقيقة وأسرار الملكوت وهو الخضر، فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين فحصلت المناسبة.

إشارة: اعلم أنّ موسى عليه الصلاة والسلام لم يجد من هو دونه، وهو الخضر عليه السلام، حتى تجرّد عن كل ما سواه، فكذلك العبد لا يجد قرب مولاه وحبه حتى يتجرّد عن كل ما سواه. قال الشلبي: انفرد بالله حتى تكون مجرداً عن الأغيار وتكون واحداً للواحد فرداً للفرد، وقال الإمام تاج الدين بن عطاء الله السكندري: من تجرّد من وقته لوقته فاته من وقته، ومن استقبل الوقت فاز بحظه، وأنشد:

لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف الطريق إليكا
أفنيتَني عن جميعي فكنت لِلْم يديكا

وقيل للجنيد: متى يكون العبد منفرداً متحيزاً، قال: إذا ألزم جوارحه الكف عن جميع المخالفات، وأفنى حركاته عن كل الإرادات، فكان شبحاً بين يدي الحق لا يتميّز، وما أحسن قول بعضهم:

وعن فنائي فنى فنائي وفي فنائي وجدتُ أنتا
في محو اسمي ووسم جسمي سألت عني فقلتُ: أنتا
أشار سري إليك حتى فنى فنائي ودمت أنتا
أنت حياتي وسر قلبي فحيث ما كنتُ كنتَ أنتا

قال الشبلي: اضرب بالدنيا وجه عاشقيها وبالآخرة وجه طالبيها وسلم نفسك، وقد وصلت. فإذا قلت الله فهو الله، وإذا سكت فهو الله، وهذا هو المقام العظيم. واسم الخضر عليه السلام مضطرب فيه اضطراباً متبايناً؛ فقيل إنّه بليا بن ملكان بن فالغ بن شالح بن ارفحشذ بن سام بن نوح عليه السلام، قاله: وهب بن منبه. وقيل: إيليا بن عاميل شما لخمين بن أرما بن علقما بن عيصو بن إسحٰق بن إبراهيم عليه السلام؛ وقيل اسمه: أرميا بن حلقيا من سبط هارون، قاله الثعلبي، قلت: والأصح الذي نقله أهل السير وثبت عن النبي ﷺ كما قاله البغوي وغيره أنّ اسمه بليا بباء موحدة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة من تحت، وفي آخره

ألف ابن ملكان بفتح الميم وبإسكان اللام وبالنون في آخره؛ وقيل بليان؛ قيل: كان من بني إسرائيل؛ وقيل كان من أبناء الملوك، وكنيته أبو العباس، قال السهيلي: كان أبوه ملكاً وأمه اسمها ألها، وإنّها ولدته في مغارة وأنّه وجد هناك شاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية، ولما وجده الرجل أخذه ورباه، فلما شب طلب أبوه كاتباً وجمع أهل المعرفة والسبالة ليكتب الصحف التي أنزلت على إبراهيم وشيث، فكان فيمن أقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر عليه السلام، وهو لا يعرفه، فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره فعرف أنّه ابنه فضمه لنفسه وولاّه أمر الناس، ثم إنّ الخضر فر من الملك لأسباب يطول ذكرها، ولم يزل سائحاً إلى أن وجد عين الحياة، فشرب منها فهو حي إلى أن يخرج الدجال، وإنّه الرجل الذي يقتله الدجّال ويقطعه، ثم يحييه الله تعالى، انتهى. وسيأتي إن شاء الله تعالى عن صاحب ابتلاء الأخيار في باب السين المهملة في لفظ السعلاة أنّه ابن خالة ذي القرنين، واختلف في سبب تلقيبه بالخضر، فقال الأكثرون: لأنّه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من تحته خضراء، والفروة وجه الأرض؛ وقيل: لأنّه كان إذا صلّى اخضرّ ما حوله والصواب الأوّل، واختلف في حياته، فقال الإمام محيي الدين النووي وجمهور العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا قال: وهذا متفق عليه عند الصوفيّة وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجواباته ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر، قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامّة معهم على ذلك وإنّما شذ بإنكاره بعض المحدّثين، انتهى. وقال الحسن: إنّه مات، وقال ابن المنادي: لا يثبت حديث في بقائه، وقال الإمام أبو بكر بن العربي: مات قبل انقضاء المائة، ويقرب من هذا جواب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري لما سئل عن الخضر وإلياس عليهما السلام هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «**لا يبقى على رأس مئة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**»، والصحيح الصواب أنّه حي، وقال بعضهم: إنّه اجتمع مع رسول الله ﷺ وعزى أهل بيته وهم مجتمعون لغسله، وقد روي ذلك من طريق صحاح.

وفي «**التمهيد**» لابن عبد البر إمام أهل الحديث في وقته رحمه الله أنّ النبي ﷺ حين غسل وكفّن سمعوا قائلاً يقول: السلام عليكم أهل البيت إنّ في الله خلفاً من كل هالك، وعوضاً من كل تالف وعزاء من كل مصيبة، فعليكم بالصبر واحتسبوا، ثم دعا لهم، ولا يرون شخصه، فكانوا يرون أنّه الخضر عليه السلام، يعني: أصحاب النبي ﷺ وأهل بيته رضي الله تعالى عنهم. قال السهيلي: وقد ذكر أنّ الخضر عليه السلام هو أرمياء ولم يصححه محمد بن جرير الطبري وأبطله بما يطول ذكره من الحجج، وذكر أيضاً أنّه اليسع صاحب إلياس عليهما السلام، وأعجب ما في ذلك قول من قال إنّه ابن فرعون صاحب موسى عليه السلام، ذكره النقاش، انتهى.

واختلف في نبوّته، فقال القشيري وكثيرون: هو ولي، وقال بعضهم: هو نبيّ، ورجحه النووي وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال، أحدهما: إنّه نبي، والثاني: إنّه ولي، والثالث: إنّه من الملائكة، وهذا القول غريب باطل لما قدّمناه. وقال المازري: اختلف العلماء في الخضر هل هو ولي أو نبي، فقال الأكثرون: هو نبي، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِيۚ﴾ [الكهف: 82]، فدلّ على أنّه نبي يوحى إليه، وبأنّه أعلم من موسى، ويبعد أن يكون ولي أعلم من نبي وأجاب الآخرون بأنّه يجوز أن يكون الله تعالى قد أوحى إلى نبي ذلك الزمان بأن يأمر الخضر بذلك، انتهى. ولم ينقل أنّه كان مع موسى نبي، فكيف يتأتي هذا الجواب والخضر كان في عصر موسى؟ فإن نقل أنّه كان معه نبي آخر قبل هذا الاحتمال في الجواب، وإلاّ فلا، فإن قيل: إنّ يوشع بن نون كان نبياً في زمن موسى؛ قيل هذه القضية كانت قبل نبوّته، وأيضاً فهو كان مصاحباً لموسى ومرافقه حين لقيا الخضر، وهو الذي أخبر موسى بانسياب الحوت في البحر، واختلف في كونه مرسلاً فقال الثعلبي: الخضر نبي بعثه الله بعد شعيب وهو معمر محجوب عن أبصار أكثر الناس؛ وقيل: إنه لا يموت إلاّ في آخر الزمان حين يرفع القرآن، وقصته مع موسى في السفينة والغلام والقرية طويلة مشهورة تركناها لطولها واشتهارها، لكن قال السهيلي: إنّ القرية برقة؛ وقيل غير ذلك.

فائدة: لما حان لموسى والخضر أن يتفرقا قال له الخضر عليه السلام: لو صبرت ساعة واحدة لأتيت على ألف عجب كل عجب أعجب مما رأيت، فبكى موسى عليه السلام على فراقه، ثم قال موسى للخضر عليه السلام: أوصني يا نبي الله، فقال له الخضر: يا موسى اجعل همّك في معادك، ولا تخض فيما لا يعنيك، ولا تترك الخوف في أمنك، ولا تيأس من الأمن في خوفك، وتدبير الأمور في علانيتك، ولا تذر الإحسان في قدرتك، فقال له موسى: زدني يا نبي الله فقال له الخضر: يا موسى إياك واللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير أحداً من الخطائين بخطاياهم بعد الندم، وابك على خطيئتك يا بن عمران، فقال له موسى عليه السلام: قد أبلغت في الوصية، فأتم الله عليك نعمته وعمرك فى طاعته وكلأك من عدوه، فقال له الخضر عليه السلام: وأوصني أنت، فقال له موسى: إياك والغضب إلاّ في الله ولا ترض عن أحد إلاّ في الله ولا تحب لدنيا ولا تبغض لدنيا، فإن ذلك يخرج من الإيمان، ويدخل في الكفر، فقال له الخضر: لقد أبلغت في الوصية، فأعانك الله على طاعته وأراك السرور في أمرك، وحببك إلى خلقه، وأوسع عليك من فضله، فقال موسى عليه السلام: آمين، رواه السهيلي، وقال البغوي: روي أنّ موسى لما أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له: أوصني، قال له: يا موسى لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به.

تتمة: في كتاب «**الهواتف**» لأبي بكر بن أبي الدنيا أنّ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لقي الخضر عليه السلام، وعلّمه هذا الدعاء، وذكر فيه ثواباً عظيماً، ورحمة لمن قاله في دبر كل

صلاة وهو: يا من لا تشغله سمع عن سمع، ويا من لا تغلطه المسائل، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك، وذكر في كتابه أيضاً عن عمر رضي الله تعالى عنه في هذا الدعاء بعينه نحو ما ذكر عن علي رضي الله عنه في سماعه من الخضر عليه السلام.

عجيبة: روى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه «**المتفق والمفترق**» في ترجمة أسامة بن زيد التنوخي أنّه ولى مصر للوليد بن عبد الملك بن مروان ولأخيه سليمان، وهو الذي بنى مقياس النيل العتيق الذي بجزيرة فسطاط مصر ذكره ابن يونس في «**تاريخه**»، ثم روى الخطيب في ترجمة أسامة هذا أنّ صنماً كان بالإسكندرية يقال له شراحيل على حشفة من حشف البحر، مستقبلاً بأصبع من أصابع كفه القسطنطينية، لا يدري أكان مما عمله سليمان النبي عليه الصلاة والسلام أو الإسكندر، تصاد عنده الحيتان، وكانت الحيتان تدور حوله وحول الإسكندرية، وكان قدم الصنم طول قامة الرجل إذا انبطح ومدّ يديه، فكتب أسامة بن زيد وهو عامل مصر للوليد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين إنّ عندنا بالإسكندرية صنماً يقال له شراحيل، وهو من نحاس، وقد غلت علينا الفلوس، فإن رأى أمير المؤمنين أن ننزله ونجعله فلوساً فعلنا وإن رأى غير ذلك فليكتب إلينا بما نعتمده في أمره، فكتب إليه لا تنزله حتى أبعث إليك أمناء يحضرونه، فبعث إليه رجالاً أمناء، فأنزلوا الصنم عن الحشفة، فوجدت عيناه ياقوتتين حمراوين ليس لهم قيمة، فضربه أسامة بن زيد فلوساً، فانطلقت الحيتان ولم ترجع إلى ذلك المكان أبداً بعد أن كانت لا تفارقه ليلاً ولا نهاراً وتصاد بالأيدي.

الحوشي: النَّعم المتوحشة ويقال: إنّ الإبل الحوشية منسوبة إلى الحوش وهي فحول جن تزعم العرب أنّها ضربت في نعم بعضهم فنسبت إليها.

الحوصل: طائر كبير له حوصلة عظيمة يتّخذ منها الفرو وجمعه حواصل، قال ابن البيطار: وهذا الطائر يكون بمصر كثيراً ويعرف بالبجع، وجمل الماء والكي بضم الكاف، وسكون الياء المثناة من تحت، وهو صنفان أبيض وأسود، فالأسود منه كريه الرائحة ولا يكاد يستعمل، والأجود الأبيض، وحرارته قليلة ورطوبته كثيرة، وهو قليل البقاء ولبسه يصلح للشباب وذوي الأمزجة الحارة ومن تغلب عليه الصفراء، انتهى. والمعروف خلاف ما قال وأنّه أشد حرارة من فرو الثعلب، والحوصلة والحوصل من الطائر والظليم بمنزلة المعدة للإنسان.

وحكمه: الحل كما جزم به الرافعي وغيره عموماً فإن قيل: لم لا أجري فيه الوجه الذي في طير الماء؟ فالجواب أنّ ذلك الوجه يجري في طير لا يفارق الماء، وهذا يألفه ثم يفارقه، فهو كالإوز البلدي، وقد رأيت منه بمدينة النبيّ ﷺ واحداً أقام بها أعواماً يمشي في أزقتها لكن غالب اقتياته في البر اللحم، وفي البحر السمك.

الحُلَّان: بحاء مضمومة بعدها لام ألف مشدّدة، ثم نون. هو الجدي يوجد في بطن أمّه. وقال الأصمعي: الحلان والحلام بالنون وبالميم صغار الغنم، وقال ابن السكيت: الحلان الذي يصلح أن يذبح للنسك، وفي الحديث أنّ عمر رضي الله تعالى عنه قضى في أم حبين بقتلها المحرم بحلان وفي حديث آخر ذبح عثمان كما يذبح الحلان، أي: أن دمه أطل كما أطل دم الحلان وحكمه سيأتي إن شاء الله تعالى.

حيدرة: اسم من أسماء الأسد. روى البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يوم خيبر وهو أرمد فقال: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله**»، قال: «**ويحب الله ورسوله**»، فأتيت علياً وجئت به أقوده، وهو أرمد، حتى أتيت به النبي ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية، قال: فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمتُ خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرَّبُ
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

قال: فبرز له عليّ رضي الله عنه وهو يقول:

أنا الذي سمَّتْني أمي حَيْدَرة كليثِ غاباتٍ كريهِ المنظرةْ
أكيلهم بالسيف كيل السَّنْدرة

وضرب مرحباً، ففلق رأسه، وكان الفتح، قال السهيلي: ذكر قاسم بن ثابت في تسميته حيدرة ثلاثة أقوال، الأوّل: أن اسمه في الكتب القديمة أسد والأسد هو حيدرة، والثاني: أنّ أمه فاطمة بنت أسد حين ولدته، كان أبوه غائباً، فسمته باسم أبيها أسداً، فقدم أبوه، فسماه علياً، والثالث: أنّه كان يلقب في صغره بحيدرة لأنّ الحيدرة الممتلىء لحماً العظيم البطن، وكذلك كان رضي الله تعالى عنه، ولذلك قال بعض اللصوص حين فر من سجنه الذي سماه نافعاً؛ وقيل يافعاً بالياء:

ولو أني مكثت لهم قليلاً لجرّوني لحيدرة البطين

وكان مرحب قد رأى في المنام كأن أسداً افترسه، فأراد علي رضى الله عنه أن يذكره أنّه هو الأسد الذي يقتله، فكاشفه بذلك، فلما سمع مرحب قوله تذكر المنام، فأرعد، فقتله علي رضي الله تعالى عنه، وبهذا يستدل على جواز المبارزة في الحرب بشرط أن لا يتضرر المسلمون بقتل المبارز، فإن طلبها كافراً استحب الخروج إليه، وروى أبو داود بإسناد صحيح عن علي رضي الله تعالى عنه أنّه قال: لما كان يوم بدر تقدم عتبة بن ربيعة بنفسه وتبعه أخوه وابنه، فنادى: من يبارز؟، فانتدب إليه شبان من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنّما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا**

عبيدة بن الحارث»، فأقبل حمزة إلى عتبة بن ربيعة وأقبلت أنا إلى أخيه شيبة، وأقبل عبيدة إلى الوليد بن عتبة، فاختلف بين عتبة والوليد ضربتان، فأثخن كل منهما صاحبه، ثم ملنا إلى الوليد، فقتلناه، واحتملنا عبيدة إلى رسول الله ﷺ ومخ ساقه يسيل، فقال: أشهيد أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، قال: وددت والله أنّ أبا طالب كان حياً ليعلم أنّنا أحق منه بقوله:

ولا نسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول:

فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم أرجى بها عيشاً من الله عاليا

وألبسني الرحمن فضلاً ومنة لباساً من الإسلام غطى المساويا

قال الشافعي رضي الله عنه: وبارز يوم الخندق عمرو بن عبد ود لأنّه خرج ينادي من يبارز؟ فقام له علي رضي الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال: أنا له يا نبي الله فقال: «**إنّه عمرو، اجلس**»، فنادى عمرو: ألا رجل يبارز ثم جعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم يدخلها؟ أفلا يبرز إليّ رجل منكم؟ فقام علي رضي الله عنه وقال: أنا له يا رسول الله فقال له: «**إنه عمرو، اجلس**» فنادى الثالثة وذكر شعراً فقام عليّ وقال: أنا له يا رسول الله، قال: «**إنه عمرو**» قال: وإن كان عمراً فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه حتى أتاه، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال: غيرك يا بن أخي، أريد من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال علي رضي الله عنه: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب، ونزل عن فرسه وسل سيفه كأنّه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي رضي الله عنه مغضباً، فاستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في الدرقة فقدها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأس علي فشجه وضربه علي رضي الله عنه على حبل عاتقه فسقط قتيلاً، وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرف ﷺ أنّ علياً قد قتله ا هـ. وجاء في بعض الروايات أنّ علياً رضي الله عنه، لما بارز عمراً قال رسول الله ﷺ: «**برز الإيمان كلّه للشرك كلّه**»، وكان سيف علي رضي الله عنه يقال له ذو الفقار، لأنّه كان في وسطه مثل فقرات الظهر وكان لمنبه بن الحجاج سلبه منه النبي ﷺ يوم بدر، وأعطاه علياً رضي الله تعالى عنه، وكان من حديدة وجدت عند الكعبة من دفن جرهم أو غيرهم، وكان صمصامة عمرو بن معد يكرب من تلك الحديدة أيضاً.

تتمة: ينبغي لمقدّم العسكر أن يتشبّه بصفات من صفات الحيوان، فيكون في قوّة القلب كالأسد لا يجبن ولا يفر، وفي الكبر كالنمر لا يتواضع للعدو، وفي الشجاعة كالدب يقاتل بجميع جوارحه، وفي الحملة كالخنزير لا يولي دبره إذا حمل، وفي الغارة كالذئب إذا يئس من وجه أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها، وفي الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه، وفي الوفاء كالكلب لو دخل سيده النار يتبعه، وفي الصبر كالحمار، وفي

التماس الفرصة كالديك، وفي الحراسة كالكركي، وفي التعب كاليعر، وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والمشقة.

الحيرمة: البقرة والجمع حيرم، قال ابن أحمر:

تبدل أدما من ظباء وحيرما

كذا أنشده الجوهري.

الحية: اسم يطلق على الذكر والأنثى: فإن أردت التمييز قلت: هذه حيّة ذكر وهذا حيّة أنثى، قاله المبرد في «**الكامل**»: وإنّما دخلته الهاء لأنّه واحد من جنس، كبطة ودجاجة، على أنّه قد رُوي عن بعض العرب رأيت حياً على حية، أي: ذكراً على أنثى، وفلان حية، ذكروا النسبة إلى الحية حيوى، والحيوت، ذكر الحيات، أنشد الأصمعي:

ويأكل الحية والحيوتا ويخنق العجوز أو تموتا

وذكر ابن خالويه اسم مئتي اسم، ونقل الهيلي عن المسعودي أنّ الله تعالى لما أهبط الحية إلى الأرض أنزلها بسجستان، فهي أكثر أرض الله حيات، ولولا العربدّ يأكلها ويفني كثيراً منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات، وقال كعب الأحبار: أهبط الله تعالى الحية بأصبهان وإبليس بجدة، وحوّاء بعرفة، وآدم بجبل سرنديب، وهو بأرض الصين في بحر الهند، عال يراه البحريون من مسافة أيّام، وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام مغموسة في الحجر، ويرى على هذا الأثر كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب، ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه الصلاة والسلام، ويقال: إنّ الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل، فتحدره السيول والأمطار من ذروته إلى الحضيض، ويوجد به الماس أيضاً، وبه يوجد العود، كذا قال القزويني، قلت: وهو قريب من جبل يقال له ساتيدما بكسر المثناة من فوق بعدها مثناة من تحت، ودال مهملة، وميم وألف وهو متصل من بحر الروم إلى بحر الهند ليس يأتي يوم من الدهر وإلاّ ويسفك عليه دم، فسمى ساتيدما لذلك، وكان قيصر قد غزا كسرى، وأتى بلاده فاحتال له، حتى انصرف عنه، فأتبعه كسرى في جنوده، فأدركه بساتيدما، فانهزم أصحاب قيصر مرعوبين من غير قتال، فقتلهم كسرى قتل الكلاب، ونجا قيصر ولم يدركه كذا حكاه البكري في «**معجمه**» وذكره الجوهري نقلاً عن سيبويه، كذلك أنشدوا على ذلك:

لما رأت ساتيدما استعبرت لله در اليوم من لامها

والحية أنواع منها: الرقشاء، وهي التي فيها نقط سود وبيض، ويقال لها: الرقطاء أيضاً، وهي من أخبث الأفاعي، وقال النابغة في وصف السليم:

فَبِتُّ كأني ساوَرتْني ضئيلةٌ من الرُّقْشِ في أنيابها السمُّ ناقعُ

تبادرها الراقون من شرّ سمّها فتطلقه يوماً ويوماً تراجعُ
تسهَّدَ من ليل التمام سليمها كحلي النساء في يديه قعاقع

وقال غيره:

هم أيقظوا رقط الأفاعي ونبهوا عقارب ليل نام عنها حُواتها
وهم نقلوا عني الذي لم أفه به وما آفة الأخبار إلا رواتها

وتزعم الأعراب أن الأفاعي صم، وكذلك النعام، قال علي بن نصر الجهضمي: دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأكثر، فقلت: يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي:

لم أر مثل الرفق في لينه أخرج للعذراء من خدرها
من يستعن بالرفق في أمره يستخرج الحية من جحرها

فقال: يا غلام الدواة والقرطاس، فأتى بهما فكتبهما، وأمر لي بجائزة سنية، وقال أبو بكر بن أبي دؤاد: كان المتعين بالله بعث إلى نصر بن علي يشخصه للقضاء، فدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك فقال: أرجع فأستخير الله، فرجع إلى بيته، فصلّى ركعتين، وقال: اللّهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك، ونام، فنبهوه، فإذا هو ميت، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمسين، ومئتين، ومن أنواعها الأزعر، وهو غالب فيها، ومنها ما هو أزب ذو شعر، ومنها ذوات القرون. وأرسطو ينكر ذلك. قال الراجز:

وذات قرنين طحون الضرسِ تنهس لو تمكنت من نهسِ
تدير عيناً كشهاب القَبَسِ

ومنها الشجاع وسيأتي في باب الشين المعجمة، ومنها العربد، وهي حية عظيمة تأكل الحيات كما تقدّم، ومنها الأصلة وهو عظيم جداً له وجه كوجه الإنسان ويقال إنّه يصير كذلك إذا مرت عليه ألوف من السنين، ومن خاصية هذا أن يقتل بالنظر أيضاً، ومنها الصل، وتسمى المكللة لأنّها مكللة الرأس؛ وقيل الصل الأوّل، وهذه المكللة وهي شديدة الفساد تحرق كل ما مرت عليه ولا ينبت حول حجرها شيء من الزرع أصلاً، وإذا حاذى مكنها طائر سقط، ولا يمر حيوان بقربها إلاّ هلك وتقتل بصفيرها على غلوة سهم، ومن وقع عليه بصرها ولو من بعد مات، ومن نهشته مات في الحال، وضربها فارس برمحه، فمات هو وفرسه، وهي كثيرة ببلاد الترك ومنها ذو الطفيتين والأبتر، وفي «**الصحيحين**» أنّ النبي ﷺ قال: «**اقتلوهما فإنّهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبالى**»، قال الزهري، ونرى ذلك من سمها، وسيأتي بيان هذا الحديث في باب الطاء إن شاء الله تعالى، ومنها الناظر متى وقع نظره على إنسانٍ مات الإنسان من ساعته، ومنها نوع آخر إذا سمع الإنسان صوته مات.

ومن أسماء الحية: العيم والعين والصم والأزعر والأبتر والناشر والأين والأرقم والأصلة والجان والثعبان والشجاع والأزب والأفعى والأفعوان، وهو الذكر من الأفاعي كما تقدّم،

والأرقش والأرقط والصل وذو الطفيتين والعربد، قال ابن الأثير: ويقال للحية أبو البختري وأبو الربيع وأبو عثمان وأبو العاصي وأبو مذعور وأبو وثاب وأبو يقظان وأم طبق وأم عافية وأم عثمان وأم الفتح وأم محبوب وبنات طبق والحية الصماء وهي الشديدة الشر، قال عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه:

إذا تخازرتُ وما بي من خَزَرْ ثم كسرت الطرف من غير حَوَرْ
ألفيتني ألوي بعيد المستمرْ أحمل ما حملت من خير وشَرْ
كالحية الصماء في أصلِ الشجرْ

والصمة: الذكر من الحيات، وجمعه صمم، وبه سمي والد دريد بن الصمة، وزعم أهل الكلام في طبائع الحيوان أنّ الحية تعيش ألف سنة، وهي في كل سنة تسلخ جلدها وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها، فيجتمع عليها النمل، فيفسد غالب بيضها، ولا يصلح منه إلاّ القليل، وإن لدغها العقرب ماتت، ومن أنواعها الحريش، وقد تقدم ذكره وشرها الأفاعي ومسكنها الرمال، وبيض الحيات مستطيل، وهو كدر اللون وأخضر وأسود وأبيض وأرقط، وفي بيضه نمش ولمع، والسبب في اختلاف ذلك لا يعرف، وداخله شيء كالصديد وهو في جوفها منضد طولاً على خط واحد وليس للحيات سفاد يعرف، وإنّما هو التواء بعضها على بعض ولسانها مشقوق، فيظنّ بعض الناس أن لها لسانين، وتوصف بالنهم والشره لأنّها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الأسد، ومن شأنها أنّها إذا ابتلعت شيئاً له عظم أتت شجرة أو نحوها، فتلتوي عليها التواءً شديداً، حتى يتكسر ذلك في جوفها، ومن عادتها أنّها إذا نهشت انقلبت، فيتوهم بعض الناس أنّها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس كذلك، ومن شأنّها أنّها إذا لم تجد طعاماً عاشت بالنسيم، وتقتات به الزمن الطويل، وتبلغ الجهد من الجوع فلا تأكل إلا لحم الشيء الحي، وهي إذا كبرت صغر جسمها، واقتنعت بالنسيم ولم تشته الطعام، ومن غريب أمرها أنّها لا تريد الماء ولا ترده، إلاّ أنّها لا تضبط نفسها عن الشرب إذا شمته لما في طبعها من الشوق إليه، فهي إذا وجدته شربت منه حتى تسكر، وربما كان السكر سبب هلاكها، والذكر لا يقيم بموضع واحد، وإنّما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب، ثم تخرج هي سائرة فإن وجدت حجراً انسابت فيه، وعينها لا تدور في رأسها، بل كأنّها مسمار مضروب في رأسها، وكذلك عين الجراد، وإذ قلعت عادت، وكذلك نابها إذا قلع عاد بعد ثلاثة أيام، وكذلك ذنبها إذا قطع نبت، ومن عجيب أمرها أنّها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار، وتطلبها وتتعجّب من أمرها وتحب اللبن حباً شديداً، وإذا ضربت بسوط مسه عرق الخيل ماتت وتذبح فتبقى أياماً لا تموت، وقد تقدّم أنّها إذا عميت، أو خرجت من تحت الأرض لا تبصر طلبت الرازيانج الأخضر فتحك به بصرها، فتبصر، فسبحان من قدّر فهدى، قدّر عليها العمي وهداها إلى ما يزيله عنها، وليس شيء في الأرض مثل الحية

إلاّ وجسم الحية أقوى منه، ولذلك إذا أدخلت صدرها في حجر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخراجها منه، وربما تقطعت ولا تخرج وليس لها قوائم ولا أظفار تتشبث بها، وإنّما قوي ظهرها هذه القوّة لكثرة أضلاعها، فإن لها ثلاثين ضلعاً وإذا مشت مشت على بطنها، فتتدافع أجزاؤها وتسعى بذلك الدفع الشديد، والحيات في أصل الطبع مائية، وتعيش في البحر بعد أن كانت برية وفي البر بعد أن كانت بحرية، قال الجاحظ: الحيات ثلاثة أنواع: نوع منها لا ينفع للسعته ترياق ولا غيره كالثعبان والأفعى والحية الهندية، ونوع ينفع في لسعته الدرياق وما كان سواهما مما يقتل فإنّما بواسطة الفزع كما حكي أن شخصاً نام تحت شجرة، فتدلت عليه حية فعضت رأسه، فانتبه محمّر الوجه، وحك رأسه وتلفت فلم ير أحداً، فلم يرتب بشيء، ووضع رأسه ونام، فلمّا كان بعد ذلك بمدة قال له بعض من رآها: هل علمت مم كان انتباهك تحت الشجرة، قال: لا والله ما علمت، قال: إنّما كان من حية تدلّت عليك فعضت رأسك، فلمّا قمت فزعاً تقلّصت، ففزع فزعة فاضت فيها نفسه، قال: فهم يزعمون أنّ الفزع هو الذي هيج السم، وفتح مسام البدن، حتى مشى السم فيه، انتهى.

فائدة: في «**النصائح**» لابن ظفر أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، لما تحصّن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم نزل بالنجف، وأرسل إليهم أن ابعثوا إليَّ رجلاً من عقلائكم، فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغساني، وكان من المعمرين عمر أكثر من ثلثمائة وخمسين سنة فقاوله المقاولة المشهورة، وكان في يد عبد المسيح قارورة يقلبها، فقال له خالد: ما الذي في هذه القارورة؟ قال: سم ساعة، قال: ما تصنع به؟ قال: إن وجدت عندك ما أحبه لقومي وأهل بلدي حمدت الله وقبلته، وإن لم أجد ذلك شربته وقتلت نفسي به، ولم أرجع إلى قومي بما يسوؤهم، فقال خالد رضي الله عنه: هاتها، فناوله القارورة، فأفرغها خالد في راحته وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، باسم الله وبالله، باسم الله رب الأرض والسماء، باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثم شربه، ويقال إنّه شرب عليه ماءً فضرب بذقنه على صدره وغشيه عرق ثم سري عنه، فانصرف عبد المسيح إلى قومه، وكانوا نصارى نسطورية إلاّ أنّهم عرب فقال لهم: جئتكم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره، فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضياً، فهؤلاء قوم مصنوع لهم، وسيكون لهم شأن عظيم، فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة، انتهى.

وقال بعضهم إنّ سم ساعة لا يكون إلاّ من الحية الهندية، ولا ينفع فيها درياق ولا غيره، وفي «**النصائح**» أيضاً: أنّ أمة لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قالت له: من أي جنس أنت؟ قال: أنا آدمي مثلك، قالت: كيف تكون آدمياً وقد أطعمتك السم أربعين يوماً فما ضرك؟ فقال لها: أما علمت أنّ الذاكرين الله تعالى لا يضرهم شيء، وإني كنت أذكر الله باسمه

الأعظم، قالت: وما هو؟ قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثم قال: ما الذي حملك على ذلك؟ قالت: بغضك، قال: أنت حرة لوجه الله تعالى وأنت في حل مما صنعت، انتهى.

عجيبة: ذكر القرطبي في تفسير سورة غافر عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب الأحبار أنّه قال: لما خلق الله تعالى العرش قال: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم مني واهتز تعاظماً فطوّقه الله تعالى بحيّة لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين، فالتوت الحية على العرش، فالعرش إلى نصف الحية وهي ملتوية عليه، فتواضع عند ذلك، انتهى. وروي أنّ الرشيد نام ليلة، فسمع قائلاً يقول:

يا راقد الليل انتبه ... إن الخطوب لها سرى
ثقة الفتى من نفسه ... ثقة محلّلة العُرا

فاستيقظ فوجد المصابيح قد طفئت، فأمر بالشموع، فأوقدت ونظر فإذا حية بقرب فراشه، فقتلها.

غريبة: ذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى في «**الأذكياء**» عن بشر بن الفضل قال: خرجنا حجاجاً، فمررنا بماء من مياه العرب، فوصف لنا فيه ثلاث جوار أخوات بارعات في الجمال وإنّهن يطببن ويعالجن، فأحببنا أن نراهن فعمدنا إلى صاحب لنا فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه، ثم حملناه وأتينا به إليهن، فقلنا: هذا سليم[1] فهل من راق، فخرجت إلينا الأخت الصغرى، فإذا جارية كالشمس الطالعة، فجاءت، حتى وقفت عليه ونظرته، فقالت: ليس بسليم، قلنا: وكيف ذلك؟ قالت: إنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر، والدليل على ذلك أنّه إذا طلعت عليه الشمس مات، قال: فلمّا طلعت الشمس مات، فعجبنا من ذلك وانصرفنا، وفيه أيضاً في أواخره: أنّ عيسى عليه الصلاة والسلام مر بحاوٍ يطارد حيّة فقالت له الحية: يا روح الله قل له لئن لم يلتفت عني لأضربنه ضربة أقطعه قطعاً فمرَّ عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم عاد فإذا الحية في سلة الحاوي، فقال لها عيسى عليه السلام: ألست القائلة كذا وكذا فكيف صرت معه؟ فقالت: يا روح الله إنّه قد حلف لي، والآن غدر بي فسم غدره أضر عليه من سمي.

وفي «**عجائب المخلوقات**» للقزويني أنّ الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى أنوشروان، وإنّما وجد في زمانه، وسببه أنّه كان ذات يوم جالساً للمظالم إذ أقبلت حية عظيمة تنساب

(١) السليم: من الأضداد، وهنا بمعنى اللديغ أي الملدوغ.

تحت سريره فهموا بقتلها، فقال كسرى: كفوا عنها فإني أظنها مظلومة، فمرّت تنساب، فأتبعها كسرى بعض أساورته، فلم تزل سائرة، حتى استدارت على فوهة بئر فنزلت فيها، ثم أقبلت تتطلع فنظر الرجل، فإذا في قعر البئر حيّة مقتولة، وهي على متنها عقرب أسود فأدلى رمحه إلى العقرب ونخسه به، وأتى إلى الملك، فأخبره بحال الحية، فلما كان في العام القابل أتت تلك الحية في اليوم الذي كان كسرى جالساً فيه للمظالم، وجعلت تنساب حتى وقفت بين يديه ونفضت من فيها بزراً أسود، فأمر به الملك أن يزرع فنبت منه الريحان، وكان الملك كثير الزكام وأوجاع الدماغ، فاستعمل منه فنفعه جداً.

فائدة أخرى: في «**حلية الأولياء**» للحافظ العلامة أبي نعيم رحمه الله تعالى في ترجمة سفيان بن عيينة، عن يحيى بن عبد الحميد قال: كنت في مجلس سفيان بن عيينة، وقد اجتمع عنده ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون، فالتفت في آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه، وقال: قم حدّث الناس بحديث الحية، فقال الرجل: أسندوني فأسندناه، فشال جفونه عن عينيه ثم قال: ألا فاستمعوا وعوا، حدّثني أبي عن جدي أنّ رجلاً كان يعرف بابن الحمير وكان له ورع، وكان يصوم النهار، ويقوم الليل وكان مبتلى بالقنص، فخرج يوماً يتصيد، فبينما هو سائر إذ عرضت له حية، فقالت: يا محمد بن حمير أجرني أجارك الله، فقال لها: ممن؟ قالت: من عدو ظلمني، قال لها: وأين عدوك؟ قالت له: من ورائي، قال لها: من أي أمة أنت؟ قالت: من أمة محمد ﷺ، قال: ففتحت لها ردائي وقلت لها: ادخلي فيه، قالت: يراني عدوي، قال: فبسطت لها طمري وقلت لها: ادخلي بين طمري وبطني، قالت: يراني عدوي، قلت لها: فما الذي أصنع بك؟، قالت: إن أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى أنساب فيه قلت: أخشى أن تقتليني، فقالت: لا والله ما أقتلك، والله شاهد عليّ بذلك، وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه وسكان سماواته أن لا أقتلك، قال: ففتحت لها فمي فانسابت فيه، ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة فقال: يا محمد، فقلت له: ما تشاء؟ قال: هل لقيت عدوي؟ قلت: ومن عدوك؟ قال: حية، قلت: اللّهم لا، واستغفرت ربي مائة مرّة من قولي: لا، لعلمي أين هي، ثم مضيت قليلاً فإذا بها قد أخرجت رأسها من فمي وقالت: انظر هل مضى هذا العدو، فالتفت فلم أر أحداً، فقلت: لم أر أحداً، فإن أردت الخروج، فاخرجي، فقالت: الآن يا محمد اختر لنفسك واحدة من اثنتين، إمّا أن أفتت كبدك، وإمّا أن أنفث في فؤادك، فأدعك بلا روح، فقلت يا سبحان الله أين العهد الذي عهدت إليّ، واليمين الذي حلفت لي ما أسرع ما نسيته، وخنت، فقالت: يا محمد ما رأيت أحمق منك إذ نسيت العدواة التي كانت بيني وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة، فليت شعري ما الذي حملك على اصطناع المعروف مع غير أهله؟ قال: فقلت لها ولا بد لك من قتلي؟ قالت: لا بد من ذلك، قال: فقلت لها: أمهليني حتى أصير تحت هذا الجبل، فأمهد لنفسي موضعاً، قالت:

شأنك وما تريد. قال محمد: فمضيت أريد الجبل، وقد أيست من الحياة، فرفعت طرفي إلى السماء وقلت: يا لطيف يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي يا لطيف يا قدير أسألك بالقدرة التي استويت بها على العرش، فلم يعلم العرش أين مستقرك منه، يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم يا حي يا قيوم يا الله إلاّ ما كفيتني شر هذه الحية، ثم مشيت، فعارضني رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقي الثوب، فقال لي: سلام عليك، فقلت: وعليك السلام يا أخي، فقال: ما لي أراك قد تغير لونك واضطرب كونك؟ فقلت: من عدو قد ظلمني، قال لي: وأين عدوك؟ قلت: في جوفي، قال: فافتح فاك، ففتحه فوضع فيه مثل ورقة زيتون خضراء، ثم قال: امضغ وابلع، فمضغت وبلعت، قال محمد: فلم ألبث إلاّ قليلاً حتى مغصني بطني، ودارت الحية في بطني، فرميت بها من أسفل قطعاً قطعاً، وذهب عني ما كنت أجده من الخوف، فتعلقت بالرجل، فقلت: يا أخي من أنت الذي منّ الله علي بك؟ فضحك ثم قال: أما تعرفني؟ قلت: اللهم لا، قال: يا محمد بن حمير إنّه لمّا كان بينك وبين هذه الحية ما كان، ودعوت الله بهذا الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع إلى الله عزّ وجل، فقال الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي بعيني كل ما فعلت الحية بعبدي، وأمرني سبحانه وتعالى أن انطلق إلى الجنة، وخذ ورقة خضراء من شجرة طوبى والحق بها عبدي محمد بن حمير، وأنا يقال لي المعروف ومستقري في السماء الرابعة، ثم قال: يا محمد بن حمير عليك باصطناع المعروف، فإنّه يقي مصارع السوء وإنّه وإن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله تعالى.

فائدة أخرى: روى الحاكم وصححه عن أبي اليسر رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ كان يدعو: «**اللّهم إنّي أعوذ بك من الهدم والتردي، وأعوذ بك من الحرق والغرق، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أنّ أموت لديغاً**».

قال الجاحظ: وتأويل هذا عند العلماء أنّه لا يتفق للإنسان أن يكون موته بهذا العدو إلاّ وهو من أعداء الله تعالى بل من أشدهم عداوة، فكان عليه الصلاة والسلام يتعوّذ منه لذلك.

فائدة أخرى: يقال لسعته الحية والعقرب تلسعه لسعاً فهو ملسوع.

قال بعض العلماء المتقدّمين: من قال في أوّل الليل وأوّل النهار عقدت لسان الحية وزبان العقرب ويد السارق بقول أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، أمن من الحية والعقرب والسارق، ومن الفوائد المجربة النافعة أن يسأل الراقي الملدوغ إلى أين انتهي الوجع في العضو؟ ثم يضع على أعلاه حديدة، ويقرأ العزيمة، ويكررها، وهو يجرد موضع الألم بالحديدة، حتى ينتهي في جرد السم إلى أسفل الوجع، فإذا اجتمع في أسفله جعل يمص ذلك الموضع، حتى يذهب جميع الألم ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك، وهي هذه: سلام على نوح في العالمين وعلى محمد في المرسلين من حاملات السم أجمعين، لا دابة بين

السماء والأرض إلا وربّي آخذ بناصيتها أجمعين كذلك يجزي عباده المحسنين إن ربّي على صراط مستقيم نوح نوح نوح، قال لكم نوح: من ذكرني فلا تلدغوه إن ربي بكل شيء عليم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ورأيت بخط بعض المحقّقين من العلماء أن يوقف الملسوع أو رسوله أو المكلوب أو شارب السم قائماً، ثم يخط دور قدميه يبدأ بالخط من إبهام الرجل اليمنى حتى ترجع إليها، ثم يخط بين قدميه خطاً ويكون ذلك بسكين فولاذ ثم يأخذ من تحت مشط رجله اليمنى، ومن تحت كعبه الأيسر تراباً ويرميه في إناء نظيف ويسكب عليه ماء، ثم يأخذ السكين ويوقفها في وسط إناء آخر، ويكون رأس السكين إلى فوق ويسكب الماء الذي في الإناء على السكين التي في الإناء الثاني ويرقي بهذه الرقية، ويكون فراغ الماء مع فراغ الرقية، ثم يجعل النصاب إلى فوق ويسكب الماء كأوّل مرّة ثم يجعل رأسها إلى فوق أيضاً، ويفعل كأوّل مرّة، ثم يسقي الملسوع أو رسوله أو المكلوب أو شارب السم، وهي سارا سارا في ساراعاتي نور نور نور انا وأرميا فاه ياطوا كاطوابر ملس أوزاناً أوصنانيما كامايوقابانيا ساتيا كاطوط أصبأوت إيريلس توتي تنا أوس، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى كما جرب مراراً، وما أحسن قول القائل:

قالوا: حبيبُك ملسوع، فقلت لهم: من عقرب الصدغ أو من حية الشعَر
قالوا: بلى من أفاعي الأرض، قلت لهم: وكيف تسعى أفاعي الأرض للقمَر؟!

ولجمال الملك بن أفلح:

وقالوا: يصير الشعر في الماء حية إذا الشمس حاذته فما خلته صِدْقا
فلما التوى صدغاه في ماء وجهه وقد لسعا قلبي تيقنته حقا

غريبة أخرى: ذكر المسعودي عن الزبير بن بكار أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين، فنزلا في ظل شجرة بجنب صفاة، فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً فألقته إليهما، فقالا: إنّ هذا لمن كنز هنا فأقاما ثلاثة أيام، وهي في كل يوم تخرج لهما ديناراً، فقال أحدهما للآخر: إلى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه، فنهاه أخوه وقال له: ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال، فأبى عليه، وأخذ فأساً ورصد الحية حين خرجت فضربها بها ضربة جرح رأسها ولم يقتلها، فبادرت إليه الحية، فقتلته ورجعت إلى جحرها، فدفنه أخوه، وأقام حتى إذا كان الغد خرجت الحية معصوباً رأسها، وليس معها شيء فقال: يا هذه والله إني ما رضيت ما أصابك، ولقد نهيت أخي عن ذلك، فلم يقبل، فهل لك أن نجعل الله بيننا على أن لا تضريني ولا أضرك وترجعين إلى ما كنت عليه أولاً؟ فقالت الحية: لا، قال: ولم؟ قالت: لأني أعلم أنّ نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجة، ثم أنشد أبيات النابغة الجعدي التي يقول فيها:

وما لقيت ذات الصفا من حليفها وكانت تريه المال رغباً وظاهره

غريبة أخرى: في رحلة ابن الصلاح، و«**تاريخ ابن النجّار**» في ترجمة يوسف بن علي بن محمد الزنجاني الفقيه الشافعي قال: حدّثنا الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله عن القاضي الإمام أبي الطيب أنّه قال: كنا في حلقة النظر بجامع المنصور ببغداد، فجاء شاب خراساني يسأل عن مسألة المصراة، ويطالب بالدليل، فاحتج المستدل بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه الثابت في «**الصحيحين**» وغيرهما، فقال الشاب وكان حنفياً: أبو هريرة غير مقبول الحديث، قال القاضي: فما استتم كلامه حتى سقطت عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فهرب الناس، وتبعت الشاب دون غيره؛ فقيل له: تب تب، فقال: تبت، فغابت الحية ولم يبق لها أثر، قال ابن الصلاح: هذا إسناد ثابت فيه ثلاثة من صالحي أئمة المسلمين القاضي أبو الطيب الطبري وتلميذه أبو إسحٰق وتلميذه أبو القاسم الزنجاني، ويقرب من هذا ما رواه أبو اليمن الكندي، قال: حدّثنا أبو منصور القزاز، قال: حدّثنا أبو بكر الخطيب، قال: حدّثنا الأزهري، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حمدان، قال: حدّثنا أبو بكر محمد بن القاسم النحوي، قال: أخبرنا الكريمي، قال: حدّثنا يزيد بن قرّة الدراع يرفعه إلى عمر بن حبيب، قال: حضرت مجلس الرشيد فجرت مسألة المصراة، فتنازع الخصوم فيها، وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بالحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، فرد بعضهم الحديث وقال: أبو هريرة متّهم فيما يرويه ونحا نحوه الرشيد ونصر قوله، فقلت: أمّا الحديث فصحيح، وأبو هريرة رضي الله تعالى عنه صحيح النقل فيما يرويه عن النبي ﷺ، فنظر إليّ الرشيد نظر مغضب، فقمت من المجلس إلى منزلي، فلم يستقر بي الجلوس حتى قيل صاحب الشرطة بالباب، فدخل إليّ فقال: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفّن فقلت: اللّهم إنّك تعلم أني قد دافعت عن صاحب نبيّك محمد ﷺ وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه، قال: فأدخلت على الرشيد فإذا هو جالس على كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه، وبيده السيف، وبين يده النطع، فلمّا رآني قال: يا بن حبيب ما تلقاني أحد بالرد، ودفع قولي مثل ما تلقيتني به، فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ الذي حاولت عليه فيه إزراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به، فقال: كيف؟ ويحك، قلت: لأنّه إذا كان أصحابه كذّابين فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام من الصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق والحدود كلّها مردودة غير مقبولة، لأنّهم رواتها ولا تعرف إلاّ بواسطتهم، فرجع الرشيد إلى نفسه وقال: الآن أحييتني يا بن حبيب أحياك الله، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم.

ويقرب من هذه القصة ما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف في الكلام على لفظ القرد؛ في الرجل الذي رد على معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما وهو على المنبر.

تتمة: قال طارق بن شهاب الزهري، كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد قضى في ميراث الجد مع الإخوة في قضايا مختلفة، ثم إنّه جمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم،

وأخذ كتفاً ليكتب فيه وهم يرون أنّه يجعله أباً، فخرجت حية فتفرقوا، فقال: لو أراد الله تعالى أن يمضيه لأمضاه، ثم إنّه أتى إلى منزل زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، فاستأذن عليه ورأسه في يد جارية له ترجله، فنزع رأسه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: دعها ترجلك، فقال زيد: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ جئتك، فقال عمر: إنّما الحاجة لي إنّي جئتك في أمر الجد، وأريد أن أجعله أباً، فقال له زيد: لا أوافقك على أن تجعله أباً، فخرج عمر رضي الله تعالى عنه مغضباً، ثم أرسل إليه في وقت آخر، فكتب إليه زيد رضي الله تعالى عنه مذهبه فيه في قطعة قتب، وضرب له مثلاً بشجرة نبتت على ساق واحد، فخرج منها غصن، ثم خرج من الغصن غصن آخر، فالساق يسقي الغصن، فإن قطع الغصن الأوّل رجع الماء إلى الغصن الثاني، وإن قطع الغصن الثاني رجع الماء إلى الغصن الأوّل، فلما أتى عمر رضي الله تعالى عنه كتاب زيد خطب الناس، ثم قرأ قطعة القتب عليهم ثم قال: إنّ زيداً قد قال في الجد قولاً وقد أمضيته.

تذنيب: روى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره أنّ أبا خراش الهذلي الشاعر واسمه خويلد بن مرة مات في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من نهش حيّة، وكان ممن يعدو على قدميه، فيسبق الخيل، وهو القائل:

رفَوني وقالوا يا خُويلدُ لا ترع فقلتُ وأنكرت الوجوه: هُمُ هُمُ

وكان ممّن أسلم، وحسن إسلامه، وكان سبب موته أنّه أتاه نفر من اليمن قدّموا حجّاجاً فنزلوا به، وكان الماء بعيداً عنهم، فقال لهم: يا بني ما أمسى عندنا ماء، ولكن هذه برمة وقربة وشاة، فردوا الماء، وكلوا شاتكم، ثم دعوا قربتنا وبرمتنا عند الماء، حتى نأخذهما، فقالوا: لا والله ما نحن بسارين ليلتنا هذه، فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى، ثم أقبل صادراً، فنهشته حية قبل أن يصل إليهم، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء، وقال: اطبخوا شاتكم وكلوا ولم يعلمهم بما أصابه، فباتوا يأكلون حتى أصبحوا وأصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا، حتى دفنوه، فلما بلغ عمر رضي الله تعالى عنه خبره غضب غضباً شديداً، وقال: لولا أن تكون سنة لأمرت أن لا يضاف يماني أبداً، ولكتبت بذلك إلى الآفاق، ثم كتب إلى عامله باليمن أن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش، فيغرمهم ديته ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة جزاء لفعلهم.

غريبة أخرى: ذكر القاضي الإمام شمس الدين أحمد بن خلكان في «**وَفَيات الأعيان**» في ترجمة عماد الدولة أبي الحسن علي بن بويه، وكان أبوه صيّاداً ليست له معيشة إلاّ صيد السمك، وكان له ثلاثة أولاد عماد الدولة أكبرهم، ثم ركن الدولة الحسن، ثم معز الدولة، والجميع ملكوا، وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم، فإنّهم ملكوا العراقين والأهواز وفارس وساسوا أمور الرعية أحسن سياسة، قال: ومن عجيب ما اتفق لعماد الدولة

أنّه لما ملك شيراز في أوّل ملكه اجتمع أصحابه، وطالبوه بالأموال، ولم يكن عنده ما يرضيهم به، فأشرف أمره على الانحلال، فاغتم لذلك، فبينما هو مفكر، وقد استلقى على ظهره في مجلس قد خلا فيه للتفكير والتدبير، إذ رأى حيّة خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس، ودخلت في موضع آخر منه، فخاف أن تسقط عليه، فدعا بالفراشين، وأمرهم بإحضار سلم وأن يخرجوا الحية، فلمّا صعدوا وبحثوا عنها وجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين فعرفوه بذلك، فأمرهم بفتحها، ففتحت فإذا فيها صناديق فيها خمسمائة ألف دينار، فحمل ذلك بين يديه، فقسمه على رجاله فثبت أمره بعد أن كان قد أشفى على الانحلال والانخرام، ثم إنّه جهز ثياباً وسأل عن خيّاط حاذق، فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله، فأمر بإحضاره، وكان أطروشاً وكان عنده وديعة لصاحب البلد، فوقع في نفسه أنّه سعى به إليه وأنّه طلب بسبب الوديعة، فلمّا خاطبه حلف أنّه لم يكن عنده سوى اثني عشر صندوقاً لا يدري ما فيها، فتعجّب عماد الدولة من جوابه، ووجه معه من يحمل الصناديق، فوجد فيها أموالاً وثياباً تجمّل كثيرة، فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته، توفي عماد الدولة سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ولم يعقب.

الحكم: يحرّم أكل الحيات لضررها، وكذا يحرّم أكل الترياق المعمول من لحومها، وقال البيهقي: كره أكله ابن سيرين، قال أحمد: ولهذا كرهه الإمام الشافعي، فقال: لا يجوز أكل الترياق المعمول من لحم الحيات إلاّ أن يكون بحال الضرورة بحيث يجوز له أكل الميتة، وأمّا السمك الذي في البحر على شكلها، فحلال كما تقدّم. وأمر النبي ﷺ بقتل الحيات أمر ندب.

روى البخاري ومسلم والنسائي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع النبي ﷺ في غار بمنى، وقد أُنزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: 1] فنحن نأخذها من فيه رطبة إذ خرجت علينا حيّة فقال: اقتلوها فابتدرناها لنقتلها، فسبقتنا، فقال ﷺ: «**وقاها الله شركم كما وقاكم شرها**»، وعداوة الحية للإنسان معروفة، قال الله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: 36].

قال الجمهور: الخطاب لآدم وحواء والحية وإبليس.

وروى قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: «ما سالمناهنّ منذ عاديناهنّ»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: من تركهن فليس منا، وقالت عائشة رضي الله عنها: من ترك حية خشية من ثأرها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وفي «**سنن البيهقي**» عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الحية فاسقة والعقرب فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق**». وفي «**مسند الإمام أحمد**» عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**من قتل حية فكأنّما قتل رجلاً مشركاً بالله، ومن ترك**

حية مخافة عاقبتها فليس منا»، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنّ الحيّات مسخت كما مسخت القردة من بني إسرائيل وكذا رواه الطبراني عنه عن رسول الله ﷺ، وكذا رواه ابن حبّان، وأمّا الحيات التي في البيوت، فلا تقتل حتى تنذر ثلاثة أيّام لقوله ﷺ: «**إنّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهما شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام**»، وحمل بعض العلماء ذلك على المدينة وحدها والصحيح أنّه عام في كل بلدة لا تقتل حتى تنذر.

روى مسلم ومالك في أواخر «**الموطإ**» وغيرهما عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنّه قال: دخلت على أبي سعيد الخدري في بيته، فوجدته يصلي، فجلست أنتظر فراغه، فسمعت حركة تحت سرير في ناحية البيت، فالتفت، فإذا حية فوثبت لأقتلها، فأشار إليّ أن أجلس، فجلست، فلما انصرف من صلاته أشار إلى بيت في الدار فقال: أترى هذا البيت؟ قلت: نعم، قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس، فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ عند انتصاف النهار، ويرجع إلى أهله، فأستأذنه يوماً فقال ﷺ: خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك بني قريظة، فأخذ الفتى سلاحه، ثم رجع إلى أهله فوجد امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وقد أصابته الغيرة، فقالت: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني منه، فدخل، فإذا حية عظيمة مطوقة على الفراش، فأهوى إليها بالرمح، فانتظمها به، ثم خرج به، فركزه في الدار، فاضطربت عليه وخر الفتى ميتاً، فما ندري أيّهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا النبي ﷺ فأخبرناه بذلك، وقلنا: ادع الله أن يحييه فقال: «استغفروا ربكم لصاحبكم»، ثم قال: «**إنّ بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم منهنّ شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإذا بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنّما هو شيطان**»، وقد اختلف العلماء في الإنذار هل هو ثلاثة أيام أو ثلاث مرات والأوّل هو الذي عليه الجمهور وكيفيته أن يقول: أنشدكن بالعهد الذي أخذه عليكن نوح وسليمان عليهما الصلاة والسلام أن لا تبدوا لنا ولا تؤذونا. وفي «**أسد الغابة**» عن عبد الرحمٰن بن أبي يعلى أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ظهرت الحية في المسكن فقولوا لها: إنا نسألك بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام لا تؤذينا فإن عادت فاقتلوها**»، وروى الحافظ أبو عمر بن عبد البر أنّ عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري ولد على عهد رسول الله ﷺ وهو ابن خالة عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: لما فتح إفريقية وقف على موضع القيروان، وهو واد كثير الحيات، وقال: يا أهل الوادي إنا حالون إن شاء الله تعالى قاطنون ثلاث مرات، قال: فما رأينا حجراً ولا شجر إلاّ خرج من تحته حية حتى هبطن بطن الوادي، ثم قال: انزلوا بسم الله، فعمروا القيروان، وكان عقبة مجاب الدعوة. وعند الحنفية ينبغي أن لا تقتل الحية البيضاء لأنّها من الجان، وقال الطحاوي: لا بأس بقتل الجمع والأولى الإنذار.

ومن الفوائد العجيبة المجرّبة ما أخبرني به بعض مشايخي أنّه يكتب على أربع ورقات، وتوضع كل ورقة في قرنة من قرن البيت فإن الحيّات تهربن منه ولا تدخله حية بإذن الله تعالى وهو هذا:

1 1 6 1 1 1 8 7 1 ر ج 5 5 7 1 1 5 1 1 و و 7

و و 1 5 ير و 1 1 م 1 1 ح 1 1 1 ح ط 5 هـ 8

وفي «**الإحياء**» من «**كتاب آداب السفر**»، يستحب لمن أراد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذار من حية أو عقرب أو شوكة، واستدل له بحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه الآتي في باب الغين المعجمة في الكلام على لفظ الغراب. وفي «**فتاوى الإمام النووي**»: إذا اصطاد الحاوي حية وحبسها معه على عادتهم، فلسعته، فمات هل يأثم؟ فأجاب: إن صادها ليرغب الناس في اعتماد معرفته، وهو صادق في صنعته ويسلم منها في ظنه ولسعته، فمات لم يأثم وإن انفلتت وأتلفت شيئاً لم يضمنه.

وروى الإمام أحمد في **الزهد** أن حاوياً معه حيات في خرج نزل بقوم أهل اليمن، فخرج بالليل بعض الحيات، فلسعت بعض أهل المنزل فقتلته، فكتب بذلك عامل اليمن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، فقال: لا شيء عليه لكن مره إذا نزل بقوم أن يخبرهم بما معه. وفي كتاب «**الأربعين على مذهب المحققين من الصوفية**» للإمام الحافظ أبي مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهاني بإسناده إلى عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: أخذ النبي ﷺ بعمامتي من ورائي وقال: «**يا عمران: إنّ الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار، فأنفق وأطعم ولا تعسر فيعسر عليك الطلب، واعلم أنّ الله يحب البصير الناقد عند هجم الشبهات والعقل الكامل عند نزول البليات، ويحب السماحة، ولو على تمرات، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية**».

الأمثال: قالوا: فلان أسمع من حية، وأعدى من حية وهو من العدو، لأنّها تسرع إلى حجرها إذا راعها شيء.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**إنّ الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها**»، وفي «**صحيح مسلم**» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا، وهو يَأْرِزُ[1] بين المسجدين كما تَأْرِزُ الحية إلى جُحْرها**»، أي: مسجدي مكة والمدينة، ومعنى: يأرز ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض، ومعناه: أن المؤمن إنّما يسوقه إلى المدينة إيمانه ومحبته للنبي ﷺ،

(١) يأرِزُ: يلجأ.

ويحتمل أن يكون المراد بذلك عصمة المدينة من الدجال والفتن، فيكون الإسلام فيها موقراً، ويحتمل أن يكون المراد بذلك رجوع الناس إلى سنة رسول الله ﷺ ومنها ظهرت، ويحتمل أن يكون المراد بذلك أنّ الدين يؤخذ من علمائها ٱمتها، وكذلك كان وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الميم في لفظ المطية حديث الترمذيّ وأنّ النبي ﷺ قال: «**يوشك أن يضرب الناس آباط المطي في طلب العلم، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة**»، وقالوا: أبغض من ريح السذاب إلى الحيات، وقالوا: الحية من الحيية، أي: الأمر الكبير من الصغير، وربما قالوا: الحيوت من الحية، وهذا كقولهم: العصا من العصية، وقد جاء معنى المثلين في كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 27]، كذا ذكره ابن الجوزي وغيره.

الخواص: قال عيسى بن علي: ناب الحية إذا قلع في حياتها وعلق على صاحب حمى الربع تزول عنه، وإن علق على من به وجع الأسنان نفعه، وسكن وجعها. ولحمها يحفظ الحواس، ومرق لحمها يقوي البصر، ولحوم الحيات من حيث الجملة يسخن ويجفف وينقي البدن، ويحلل منه أسقاماً، وسلخها إذا وضع في ثياب لم تسوس وإن أحرق وعجن بزيت طيب وحشي به الضرس المتأكل الوجيع أبرأه، وإن سحق مع رأسها، وجعل على داء الثعلب أنبت الشعر، وقال يحيى بن ماسويه: يؤخذ سلخ حية مقلي وقشور أصل الكبر، وزراوند طويل وبلادر أجزاءً متساوية، ويبخر به صاحب البواسير الظاهرة والباطنة المتعلقة، فإنّها تسقط، وقال غيره: سلخ الحية ومقل أزرق يبخر بهما البواسير الظاهرة والخفية، فتبرأ. وبيض الحية يدق مع بورق وخل ويطلى به البرص الجديد يقطعه، وسلخ الحية إذا عجن بثلاث تمرات وأطعم لمن به الثآليل ذهبت عنه، وإن أكله من ليس به ثآليل لم تخرج أبداً، وقلبها يذهب حمى الربع تعليقاً.

فائدة: روى ابن أبي شيبة وغيره، أن فديكاً قدم على رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً فسأله ﷺ: «**ما أصابه؟**» فقال: كنت أمرن جملاً، فوقفت على بيض حية، ولم أشعر، فأصبت ببصري، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه، فأبصر، فكان يدخل الخيط في الإبرة، وهو ابن ثمانين سنة وإن عينيه مبيضتان.

التعبير: الحية في المنام تعبّر بأشياء كثيرة فهي: عدو ودولة وحياة وسيل وولد وامرأة، فمن نازع حية وهي تريد أن تنهشه، فإنّه ينازع عدواً له لقوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [البقرة: 36] فإن رأى أنّه أخذ حية ولم يخف منها، وصرفها حيث يشاء، فإنّه ينال دولة ونصرة، لأنّ موسى عليه الصلاة والسلام نال بها النصرة على فرعون، ومن رأى أن حية خرجت من فمه وكان مريضاً فإنه يموت لأنها حياته وقد خرجت من فمه، ومن رأى حيات تمشي في خلال الشجر أو الزرع، فإنّها سيول لأنّهم شبهوا جريان الماء بالحيات هذا إذا كان جريها بلا نفخ، ولا إحراق شيء، ومن قتل حية على فراشه ماتت امرأته، ومن رأى امرأته

حاملاً ووضعت حية أتاه ولد عاق، ومن رأى حية ميتة فإنّه عدو قد كفاه الله شره، ومن عضته حية فورم موضع العضة نال مالاً لأنّ السم مال والورم زيادة فيه، ومن أكل لحم حية مطبوخاً نال مال عدوه، ومن أكله نيئاً اغتاب عدوه، ومن رأى حية نزلت من مكان فإن ذلك موت رئيس ذلك المكان، ومن رأى حية ابتلعته فإنه ينال سلطاناً، ومن رأى كأنّه يتخطى الحيات ولا تنهشه، فإنّه يأمن أعداءه وإن كان مسجوناً خرج من سجنه. ورؤية الحيات الكثيرة في الطرق وهي تمنع الناس بنفخها ونهشها، فإنّ ذلك ظلم من السلطان، ومن رأى كأنّ الحيات قد فقدت من مكان فإن الوباء والموت يكثر في ذلك المكان لأنّ الحيات هي الحياة، ومن رأى كأنّ حية تكلمه فإنّه ينال سروراً، ومن رأى كأنّه ملك حية ملساء وصرفها حيث شاء، فإنّه ينال غنى وسعادة والسود من الحيات أعداء لهم قوّة، فمن ملك حية سوداء نال ملكاً وولاية، والبيض أعداء ضعاف، والثعبان يدل على العداوة في الأهل والأزواج والأولاد وربما كان جاراً شريراً حسوداً والتنين يدل على سلطان جائر مهاب أو نار محرقة، والأصلة تدلّ على امرأة ذات نسل وأصل وعمر طويل، والشجاع يدل على امرأة باذلة أو ولد جسور، والأفاعي تدل على أقوام أغنياء لكثرة سمها، والناشر يدل على الهم أو على رجل محارب غيور، وحيات البيوت خسران، وحيات البوادي قطاع الطريق، وحيات الماء مال، فمن شد وسطه بحية منها فإنّه شده بهميان وحيات البطن أعداء من الأهل والأقارب، فمن رمى حية، فإنّه يفارق شخصاً من أقاربه خبيثاً كان يؤاكله والله أعلم.

الحيوت: كسفّود ذكر الحيات.

الحيدوان: الورشان، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في باب الواو.

الحيقطان: بضم القاف ذكر الدراجة.

الحيوان: جنس الحي، والحيوان الحياة، والحيوان ماء في الجنة، قاله ابن سيده، والحيوان نهر في السماء الرابعة يدخله ملك كل يوم، فيغمس فيه، ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يطوفوا بالبيت المعمور، فيطوفون به ثم لا يعودون إليه أبداً، ثم يقفون بين السماء والأرض يسبحون الله تعالى إلى يوم القيامة، كذا رواه روح بن جناح مولى الوليد بن عبد الملك الذي روى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «**عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**»، وحديثه هذا في كتابي الترمذي وابن ماجه، وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: 64]، أي: ليس فيها إلاّ حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها فكأنّها في ذاتها حياة، والحيوان مصدر حي، وقياسه حييان، فقلبوا الياء الثانية واواً كما قالوا حيوة في اسم رجل، وبه سمي ما فيه حياة حيواناً. وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهو ما في بناء فعلان من الحركات ومعنى الاضطراب،

كالنزوان وما أشبه ذلك، والحياة حركة كما أن الموت سكون، فمجيئه على ذلك مبالغة في معنى الحياة، وقال ابن عطية: والحيوان والحياة بمعنى واحد، وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه، والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن. ويقال: الأصل حييان بياءين، فأبدلت إحداهما واواً لاجتماع المثلين.

وقال الجاحظ: الحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يعود، وشيء ينساخ في الأرض، إلاّ أنّ كل شيء يطير يمشي وليس كل شيء يمشي يطير، فأمّا النوع الذي يمشي فهو على ثلاثة أقسام: ناس وبهائم وسباع، والطير كلّه سبع وبهيمة وهمج، والخشاش ما لطف جرمه وصغر جسمه، وكان عديم السلاح، والهمج ليس من الطيور، ولكنه يطير وهو فيما يطير كالحشرات فيما يمشي، والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصاً، والبهيمة ما أكل الحب خالصاً، والمشترك كالعصفور، فإنّه ليس بذي مخلب ولا منسر، وهو يلتقط الحب ومع ذلك يصيد النمل، ويصيد الجراد ويأكل اللحم ولا يزق فراخه كما يزق الحمام فهو مشترك الطبيعة وأشباه العصافير من المشترك كثيرة، وليس كل ما طار بجناحين من الطير، فقد يطير الجعلان والذباب والزنابير والجراد والنمل والفراش والبعوض والأرضة والنحل وغير ذلك، ولا تسمّى طيوراً، وكذلك الملائكة تطير ولها أجنحة، وليست من الطير، انتهى. وفي «**الصحيحين**» وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «**لعن الله من مثّل بالحيوان**»، وفي رواية «**لعن الله من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً**»، وفي رواية «نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم». قال العلماء: تصبير البهائم هو أن تحبس وهي أحياء لتقتل بالرمي ونحوه، وهو معنى قوله: «**لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً**» أي: يرمى إليه كالغرض من الجلود وغيرها، وهذا النهي للتحريم لأنّ النبي ﷺ لعن فاعله، ولأنّه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى، ولمنفعته إن لم يكن مذكى.

تتمة: في كتاب «**التنوير في إسقاط التدبير**» قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري: وإنّما خص الله تعالى الحيوان بالافتقار إلى التغذية دون غيره من الموجودات، لأنّه تعالى وهب للحيوان من صفاته ما لو تركه من غير فاقة لادعى الربوبيّة أو ادعي فيه ذلك، فأراد الحق سبحانه، وهو الحكيم الخبير أن يحوجه إلى مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك من أسباب الحاجة ليكون تكرار أسباب الحاجة منه سبباً لخمود الدعوى منه أو فيه.

الحكم: يصح السلم في الحيوان لأنّه يثبت في الذمة ثمناً وصداقاً وفي إبل الدية. وصح أنّ النبي ﷺ استسلف بكراً، ومنع أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك لأنّ ابن مسعود رضي الله عنه كرهه، ولأنّه لا ينضبط بالصفة لنا. ما روى أبو داود والحاكم على شرط مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أشتري بعيراً ببعيرين إلى أجل. وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه أنّه باع جملاً له يدعى عصفوراً بعشرين بعيراً إلى أجل، واشترى ابن عمر

رضي الله تعالى عنهما راحلة بأربعة أبعرة يوفيها صاحبها بالربذة، رواه مالك في «**الموطإ**»، وهو في البخاري بغير إسناد. والربذة بالذال المعجمة موضع على ثلاث مراحل من المدينة. وأمّا الحديث الذي رواه الحسن عن سمرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ نهى عن بيع الحيوان بالحيوان فرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي أنّه حسن صحيح وسماع الحسن من سمرة صحيح، هكذا قال علي بن المديني وغيره، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم في منع بيع الحيوان بالحيوان نسيئة، وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة، وبه قال أحمد، وقد رخص بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم في بيع الحيوان بالحيوان نسيئة، وهو قول الشافعي وإسحاق، وقال الخطابي: النهي في حديث سمرة محمول على ما إذا كان نسيئة من الطرفين، فيكون من باب الكالىء بالكالىء بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المذكور، وقال مالك: إذا اختلفت أجناس الحيوان جاز بيع بعضه ببعض نسيئة، وإن تشابهت لم يجز، وقال في «**الإحياء**»: تكره التجارة في الحيوان لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة، وقيل: بع الحيوان واشتر الموتان، ويضمن سائرالحيوان إذا أتلف بالقيمة لما في «**الصحيحين**» عن ابن عمر أنّ النبي ﷺ قال: «**من أعتق شركاً له في عبد فإن كان معه ما يبلغ ثمن العبد، قُوِّمَ عليه وأعطى شركاءه حصصهم، وعتق عليه العبد، وإلا فقد عتق منه ما عتق**» فأوجب القيمة في العبد بالإتلاف بالعتق، ولأن إيجاب مثله من جهة الخلقة لا يمكن لاختلاف الجنس الواحد في القيمة، فكانت القيمة أقرب إلى إيفاء حقه وتضمن أعضاء الحيوان بما نقص من قيمته، وأوجب أبو حنيفة في عين الإبل والبقر والخيل ربع القيمة، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفحل أثر يشهد لذلك من حديث عروة البارقي، وأوجب مالك رحمه الله في قطع ذنب حمار ذي الهيئة وذنب بغلته تمام القيمة، ويأخذ المتلف العين.

الخواص: الخصي من الحيوان أبرد من فحله، وإذا كان سميناً كان لذيذاً مرطباً ملیناً للطبيعة بطيء الانحدار، وما كان مهزولاً فبالضدّ إلاّ أنّه سريع الانحدار وأجوده حولي المعز ومنفعته سرعة الانهضام ومضرته أنّه يرخي المعدّة، ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة، وهو يولد دماً معتدلاً يوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة من الشبان، ومن الأزمان زمان الربيع، ويجب أن يعلم أنّ أفضل لحوم الحيوان ما كان معتدلاً في الهزال والسمن، وأجود اللحوم لحم الضأن المتناهي الشباب والبقر التي لم تبلغ سن الشباب والخصي من المعز وأجوده على الإطلاق الضأن.

التعبير: من كلمه حيوان من الدواب أو الطير وفهم كلامه فإنّه كما قال، وربما دل على وقوع أمر منه يعجب الناس له وإن لم يفهم ما قاله، فليحذر على مال يذهب منه لأنّ الحيوان مأكلة، وقد تكون هذه الرؤيا باطلة فلا ينبغي أن يفتش عنها، وجلود سائر الحيوان ميراث؛

وقيل: الجلود بيوت لمن ملكها لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [النحل: 80]، وربما دلّت جلود الحيوان كالسمور والسنجاب والوشق والقاقم والفنك والنمس والثعلب والأرنب والفهد للجلوس وأشباه ذلك على النعمة الطائلة والأموال والأرزاق وعلوا الشأن لمن لبسها في المنام أو رآها عنده أو ملكها، وإذا رأى الإنسان كأنّ جلده سلخ، وكان مريضاً فإنّه يموت وإلاّ افتقر وافتضح، وربما دلت الجلود على ما يعمل منها، فجلود الإبل تدل على الطبول، وجلود الضأن على الكتابة، والمعز على النطوع، وجلود البقر على الأوطئة والدلاء والسيور، وجلود الخيل والبغال والحمير على الأوعية والأسقية، وجلود الجاموس على الحصون، وأمّا الأصواف والأوبار والأشعار، فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس وأموال موروثة وغير موروثة أو مغتصبة، وأمّا القرون فتدلّ رؤيتها على الأعوام والسنين أو السلاح أو ما يتجمّل به من الأموال والأولاد والعز والجاه، وأمّا أنياب الفيل وعظمه، فإنّ ذلك دال على تركة من هلك من الملوك والزعماء، وأمّا أظلاف الحيوان فإنّها تدلّ على الكد والسعي والاجتماع بين المرأة وزوجها والوالدة وولدها، والظلف في الصورة هاء مشقوقة، وأمّا الأخفاف فقوّة سفر، وربما دل الخف في استدارته على العدو أو السقم أو التمهيد للأمور والتوطئة الحسنة وأمّا الأذناب فإنّها دالة على ما دل الحيوان عليه، ومن يساعده في مصالحه ويذب عنه ما يخشاه، وأمّا أصوات الحيوان فنذكرها هنا مفصلة: فأمّا ثغاء الشاة فلطافة من امرأة، وصديق أو بر من رجل كريم، وأمّا ثغاء الجدي والكبش والحمل فسرور وخصب، وأمّا صهيل الفرس، فهو هيبة من رجل شريف أو جندي شجاع، وأمّا نهيق الحمار فسفه من رجل سفيه، وأما شحيج البغل فصعوبة من رجل صعب المرام، وأما خوار العجل والثور والبقرة فوقوع في فتنة، وأمّا رغاء الإبل فسفر طويل في حج أو تجارة رابحة أو جهاد، وأمّا زئير الأسد فخوف وهيبة لمن سمعه من ملك ظلوم، وأمّا ضغاء الهرة فشهرة من خادم لص أو فاجر، وأمّا نهيز الفأرة فضرب من رجل ثقاب أو فاسق أو سرقة، وأمّا بغام الظبي ففائدة من امرأة حسناء، وأمّا عواء الكلب فخجل من سعي في الظلم، وأمّا عواء الذئب فجور من لص غشوم، وأمّا صياح الثعلب فكيد من رجل كذاب أو امرأة كذابة، وأمّا وعوعة ابن آوى فصراخ نساء أو ضجة المحبوسين اليائسين، وأمّا صياح الخنزير فظفر بأعداء حمقى، وأمّا صوت الفهد فتهدد من رجل مذبذب طامع ويظفر به من سمعه، وأمّا نقيق الضفدع فدخول في عمل رجل عالم أو رئيس أو سلطان؛ وقيل إنه كلام قبيح، وأمّا فحيح الحية فكلام من عدو كاتم للعداوة، ثم يظفر به من سمعه، ومن كلمته الحية بكلام لطيف فإنّه عدو يخضع له، ويتعجب الناس لذلك.

أم حبين: بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة مخففة: دويبة مثل ابن عرس وابن آوى وسام أبرص وابن قترة إلاّ أنّه تعريف جنس، وربما أدخل عليه الألف واللام، ثم لا يكون بحذفهما منه نكرة، وإنّما سميت بذلك من الحبن تقول فلان به حبن فهو أحبن أي:

مستسقى، فشبهت بذلك لكبر بطنها وهي على خلقة الحرباء غير الصدر؛ وقيل: هي أنثى الحرابي، وهما أمّا حبين وهنّ أمّهات حبي،ن وهي دابة على قدر الكف تشبه الضب غالباً، قاله أبو منصور الأزهري ما نقله من كونها أنثى الحرابي هو الذي نقله صاحب «**الكفاية**»، فإنّه قال: الحرباء ذكر أم حبين. وقال ابن السكيت: هي أعرض من الغطاءة وفي رأسها عرض، وقال أبو زيد: إنّها غبراء لها أربع قوائم على قدر الضفدعة التي ليست بضخمة، فإذا طردها الصيادون قالوا لها:

أم حُبين انشري بريكِ إنّ الأمير ناظر إليكِ
وضارب بسوطه جنبيكِ

فيطردونها حتى يدركها الإعياء فتقف منتصبة على رجليها وتنشر جناحيها وهما أغبران على مثل لونها، فإذا زادوا في طردها نشرت أجنحة من تحت ذينك الجناحين لم ير أحسن منهن ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، وهي طرائق بعضها فوق بعض مثل أجنحة الفراش في الرقة، فإذا رآها الصيادون قد فعلت ذلك تركوها.

وقال علي بن حمزة: **الصحيح** عندي أنّ هذه صفة أم عويف وستأتي في باب العين المهملة إن شاء الله تعالى. وقال ابن قتيبة: أم حبين تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت، وهذه صفة الحرباء، وقال في «**المرصع**»: اختلف في أم حبين؛ فقيل: هي ضرب من العظاء؛ وقيل: هي أعرض منها، وقيل: هي أنثى الحرابي يتحاماها الأعراب، فلا يأكلونها لنتنها، انتهى. وما ذكره ابن قتيبة من كون أم حبين ضرباً من العِظاء فيه نظر، فإنّ العِظاء نوع من الوزغ كما ذكره أهل اللغة، ويقال لها حبينة معرفة بلا ألف ولام تقع على الواحد والجمع، وقد تجمع على أم حبينات وأمّهات حبين وأمات حبين، ولم ترد إلاّ مصغرة. وفي حديث عقبة رحمه الله: أتموا صلاتكم ولا تصلوا صلاة أم حبين، وفسروه بأنّها إذا مشت تطأطىء رأسها كثيراً وترفعه لعظم بطنها، فهي تقع على رأسها وتقوم فشبه بها صلاتهم في السجود. وفي الحديث أنّه ﷺ رأى بلالاً وقد خرج بطنه فقال: «أم حبين» تشبيهاً له بها، وهذا من مزحه ﷺ.

قال الجاحظ: قال أبو زيد النحوي: سمعت أعرابياً يقول لأم حبين: حبينة وحبينة اسمها. وحبين تصغير أحبن، وهو الذي استلقى على ظهره، ونفخ بطنه.

الحكم: الحل لأنّها من الطيبات ولأنّها تفدى في الحرم والإحرام إذا قتلت بخلاف كما تقدّم. ومن قواعد الشافعي: لا يفدى إلاّ المأكول البري. وحكى الماوردي فيها وجهين، وقال: إنّ الحل مقتضى قول الشافعي ومقتضى ما قاله ابن الأثير في **المرصع** أنها حرام وفي **التمهيد** لابن عبد البر عن جماعة من أهل الأخبار أنّ مدنياً سأل أعرابياً فقال: أتأكلون الضب؟ قال: نعم، قال: فاليربوع؟ قال: نعم، قال: فالقنفذ؟ قال: نعم، قال: فالورل؟ قال: نعم،

قال: أفتأكلون أم حبين؟ قال: لا، قال: فليهنىء أم حبين العافية، انتهى. والجواب: أنّ هذا راجع لما اعتادوا أكله، وترك أكله خاصة لا أنّها حرام على أنّه لم يثبت ذلك.

أم حسان: دويبة على قدر كف الإنسان.

أم حسيس: بضم الحاء المهملة، دويبة سوداء من دواب الماء، لها أرجل كثيرة.

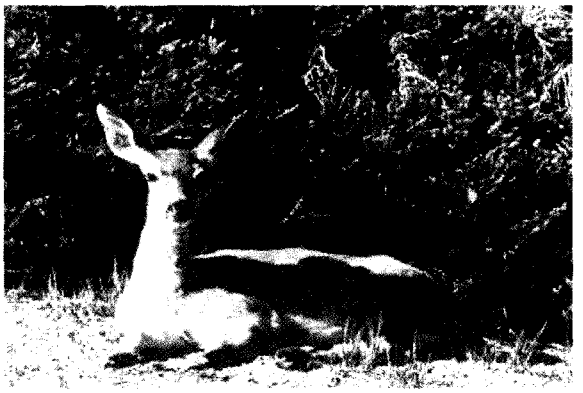

أم حفصة: الدجاجة الأهلية.

أم حمارس: بفتح الحاء المهملة، الغزالة قاله ابن الأثير؛ والله الموفق للصواب.